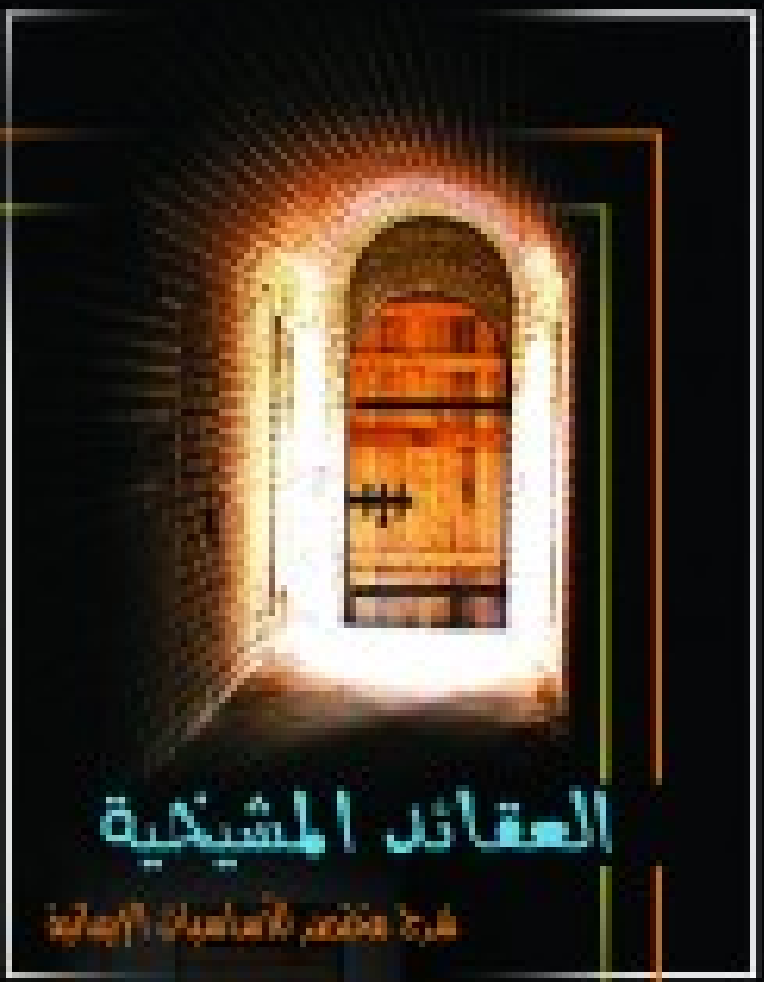

العقائد المشيخية

شرح مختصر للأساسيات الإيمانية

بقلم
دونالد كي ماكيم

العقائد المشيخية

شرح مختصر للأساسيات الإيمانية

بقلم

دونالد كي ماكيم

دار الثقافة

هناك احتياج شديد لمثل هذا الكتاب..

• هذا الكتاب.. يمثل مصدرا رائعا لكل من يرغب في فهم اللاهوت المشيخي والعقائد المشيخية فهما صحيحا، مع ربطها بالحياة اليومية.

• هذا الكتاب.. كتاب في اللاهوت المشيخي، إلا أنه سهل للغاية، وموجز جدا، ويقدم معلومات قيمة ومفيدة لكل قارئ.

• هذا الكتاب.. مكتوب بلغة غير تقنية يفهمها الجميع لكي يقدم للقارئ شرحا وفهما عما يؤمن به المشيخيون بشأن الموضوعات اللاهوتية الأساسية.

• هذا الكتاب.. مثالي للدراسة الشخصية، وللدراسة داخل مجموعات في الكنيسة.

مقدمة الدار

لقد كانت دراسة العقيدة أمر هام دائما بالنسبة للمشيخيين، وكان هذا الأمر جيدًا في أنه أعطانا – نحن المشيخيين – لاهوتًا شديد التطور يعبر بوضوح عما نؤمن به بشأن كم هائل من الموضوعات العقائدية واللاهوتية وأيضًا الحياتية. ولذا فلدينا الكثير والكثير من كتب اللاهوت الضخمة التي كتب فيها ما يؤمن به المشيخيون.

لكن المشكلة أن هذه الكتب كانت دائمًا صعبة ومعقدة بالنسبة للقارئ العادي المهتم بدراسة العقائد المشيخية واللاهوت المشيخي. وهذا ما جعل دراسة اللاهوت والعقيدة حكرًا على فئة صغيرة ممن يرغبون أن يعرفوا ويفهموا العقيدة.

هذا الكتاب جاء بحل هذه المشكلة، فهو في الأساس كتاب لاهوت خالص. إلا أنه مكتوب بطريقة سهلة بسيطة ومباشرة، وفيه ستجد عرضًا مختصرًا للآراء اللاهوتية الأساسية التي يعتنقها المشيخيون. وهو مرتب على أساس ثلاث عناوين رئيسية واسعة: الله الذي يعلن ويخلق ويرشد، والمسيح الذي يخلص أنلسًا مثلنا، والكنيسة، حيث يبدأ وينمو الإيمان.

يسعد دار الثقافة أن تقدم هذا الكتاب بالاشتراك مع الكنيسة المشيخية بالولايات المتحدة الأمريكية (The Presbyterian Church (USA.

دار الثقافة

إهداء

إلى أسرتي – ليندا چو، وستيفن، وكارل

مع أعمق المحبة والامتنان

المحتويات

مقدمة الدار ٣

إهداء ٥

تمهيد ٩

المقدمة ١١

الجزء الأول: الله الذي يعلن ويخلق ويرشد ١٩

-١ الإعلان ٢١

-٢ الثالوث ٣٣

-٣ الخلق ٤٥

-٤ العناية الإلهية ٥٣

الجزء الثاني: المسيح الذي يخلص بشرًا مثلنا ٦٣

-٥ البشرية ٦٥

-٦ الخطية ٧٥

-٧ لاهوت المسيح ٨٥

-٨ الروح القدس ١٠٣

-٩ الاختيار والتعيين المسبق ١٠٩

-١٠ الخلاص بالنعمة ١١٧

الجزء الثالث: الكنيسة، حيث يبدأ الإيمان ويتغذى، وينمو ١٣١

-١١ الكنيسة ١٣٣

-١٢ الحياة المسيحية ١٤٩

-١٣ الحياة «الآتية» المستقبلية ١٥٩

تمهيد

أنا مسيحي مشيخي، وقد كتبت هذا الكتاب بدافع حبي العميق للاهوت والعقائد المشيخية التي قامت بتشكيل أجيال من المشيخيين في كل أنحاء العالم. لذلك فإني أرغب في أن أوصّل العناصر الأساسية للمعتقدات المشيخية بأبسط وأوضح ما يمكن.

تعنون فصول هذا الكتاب كلمات لاهوتية، والتي تعتبر بعضًا من مفردات اللاهوت المسيحي والمشيخي. وهدفي هنا هو أن أشرح هذه الكلمات وأفسّر بأكثر إيضاح ممكن العقائد المشيخية بشأن هذه المصطلحات.

إن من يدرسون اللاهوت المشيخي يعرفون أنه من المستحيل أن نكون عادلين تمامًا بشأن جميع وجهات النظر المختلفة التي يجدها المرء بين المشيخيين في القضايا اللاهوتية المختلفة. لذلك فكل فصل هنا يمكن تمديده بصورة كبيرة. وقد قمت بالاستشهاد مباشرة من مصدرين لاهوتيين فقط، وهما: كتاب «عقائد الكنيسة المشيخية» (والذي يختصر بكلمة «العقائد»)، وكتاب «مبادىء الديانة المسيحية»، والذي تمت كتابته في القرن السادس عشر بواسطة چون كالڤن (ويختصر بكلمة «المبادىء»). لقد كان في إمكاني استخدام العديد من المصادر الأخرى، ولكن لأجل التبسيط، وحيث أن هذين الكتابين مهمين للغاية، فقد استخدمتهما فقط.

على أن هذا الكتاب لن يجيب على جميع أسئلتك بشأن العقائد المشيخية، لكنني أثق أنه سيجيب على بعض منها. كما أرجو أيضًا أن يثير لديك أسئلة أخرى، وإن

فعل، فهناك عدد من المصادر المذكورة في قائمة «كتب أخرى للمزيد من الدراسة» في نهاية هذا الكتاب، والتي يمكنها أن ترشدك للطريق الذي يساعدك على التفكير في موضوعات وقضايا أخرى.

لقد تم مشاركة الأسس المذكورة في الفصول التالية في العديد من الكنائس المشيخية. وأود هنا أن أقدم الشكر للدورات التعليمية، والأشخاص، والقسوس من الكنيسة المشيخية الأولى في جرينڤيل – مسيسيبي، وللدكتور إيميت بارفيلد؛ وللكنيسة المشيخية الأولى في هلنان أركنساس، وللقس ريتشارد جودمان؛ كما أود أن أشكر أيضًا كنيسة ترينيتي المشيخية في بروين – بنسلڤانيا – حيث خدمت كراعٍ مؤقت – والدكتور چاي ويلكينز. وأرغب كذلك في تقديم الشكر للقس بيتي ميدوز وللجنة مجلس مؤتمر «الماء الحي» لتطوير وتنمية الاجتماعات لإتاحتهما لي الفرصة لتقديم الكثير من هذه المادة في هذا المؤتمر.

وأخيرًا فإني أهدي هذا الكتاب لأسرتي – ليندا چو وستيفن وكارل، إذ أن محبتهم ومساندتهم هي التي تعطي حياتي مغزى وفرحًا وفيرًا.

دونالد كي ماكيم

چيرمانتاون، تينيسي

١١ سبتمبر ٢٠٠٢

مقدمة

هذا كتاب للمهتمين بالعقائد المشيخية. فربما تفكر في الانضمام لكنيسة مشيخية، أو ربما تسمع كثيرًا عن «المشيخيين» «Presbyterians» وتتساءل عن المعتقدات التي يؤمن بها هؤلاء الناس، أو ربما كنت طوال حياتك مشيخيًا – تعمدت وتثبّتّ بل وحتى تزوجت في كنيسة مشيخية – وتعتقد أنه آن الأوان لكي تفحص بأكثر تدقيق ما يؤمن به المشيخيون.

لقد كانت العقائد اللاهوتية دائمًا مهمة للمشيخيين، وكان هذا الأمر جيدًا في أنه قد أعطانا لاهوتًا شديد التطور يعبّر بوضوح عما نعتقده بشأن كم هائل من الموضوعات. فلدينا قانون الإيمان، والكتب اللاهوتية، والآلاف من المقالات لتوضيح المعتقدات المشيخية التي نعتنقها. لكن من ناحية أخرى، أحيانًا قاد اهتمام المشيخيين باللاهوت المدقق إلى فقدهم للرؤى الأوسع، أو تسبب في انقسامات في جسد المسيح، الكنيسة. أشعر بنوع من الألم في الطرفة التي تقول إن اثنين من المشيخيين أُلقيا في إحدى الجزر النائية: أحدهما أنشأ «الكنيسة المشيخية الأولى» والثاني أسس «الكنيسة المشيخية الثانية». فالاهتمام شديد التدقيق باللاهوت يمكن، في بعض الأحيان، أن يجعلنا نتجاهل بعض الأمور المهمة الأخرى مثل الاهتمام بالآخرين ومحبتهم.

يقوم هذا الكتاب بعرض العقائد المشيخية بطريقة بسيطة ومباشرة. فهو يعتبر في الأساس كتاب «لاهوت خالص» – عبارة عن عرض مختصر للآراء اللاهوتية الأساسية التي يعتنقها المشيخيون.

ومع ذلك، فإننا يجب أن نلاحظ أيضًا أنه بحسب ما تشير الطرفة الخاصة بالاثنين المشيخيين اللذين القيا على الجزيرة، هناك اختلافات فيما بين المعتقدات «المشيخية» نفسها، وقد كان الحال هكذا دائمًا طالما كان هناك «مشيخيين». يوجد في الولايات المتحدة اليوم عدد من الكنائس التي تطلق على أنفسها «مشيخية»، وتشترك هذه الكنائس في العديد من المعتقدات اللاهوتية، بما يكفي لأن يجعلها جميعًا «مشيخية». ومع ذلك فهناك دائمًا فروق مميزة بينها بسبب بعض المعتقدات المعينة أو نقاط التركيز التي تفصلها عن الكنائس الأخرى التي تطلق على نفسها مشيخية أيضًا. وغالبًا ما تتعلق هذه الفروق بقوانين الإيمان المعينة التي تعتبرها الكنيسة جديرة بالثقة. فتعتبر الكثير من الكنائس المشيخية كتاب «عقائد إيمان ويستمينيستر» لعام ١٦٤٧ هو أفضل عرض للمعتقدات المشيخية. لكن أكبر المذاهب المشيخية في الولايات المتحدة الأمريكية، الكنيسة المشيخية بالولايات المتحدة الأمريكية، تعتبر كتاب «عقائد الكنيسة المشيخية» هو المقياس بالنسبة لها فيما تؤمن به. وتمتد هذه العقائد أو اعترافات الإيمان عبر التاريخ منذ حقبة الكنيسة الأولى وحتى نهاية القرن العشرين. ولذلك فإن ذلك المدى الواسع من العروض اللاهوتية من الطبيعي أن ينتج المزيد من الاختلافات والتنوع في نسيج المعتقد المشيخي.

ينتمي المشيخيون إلى اللاهوت التقليدي المُصلَح. فعندما ننضم إلى كنيسة مشيخية، فإننا ندخل إلى عائلة، وهي عائلة ذات نسب مدهش، إذ ترجع أصولها إلى المؤمنين المسيحيين الذين عاشوا في أوروبا خلال القرن السادس عشر. وكانوا هؤلاء مسيحيون قد تبعوا آراء العديد من اللاهوتيين ذوي الشأن الذين عاشوا خلال وبعد الزمن الذي بدأ فيه مارتن لوثر Martin Luther ما يطلق عليه عامة حركة «الإصلاح البروتستانتي» «Protestent Reformation». فعندما شكك لوثر في بعض التعاليم التي كانت سائدة في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية عام ١٥١٧،

اجتاحت ثورة الإصلاح كل أوروبا. أما أولئك اللاهوتيون الذين تبعوا لوثر في رفض اللاهوت الروماني الكاثوليكي، ولكنهم طوروا آراء لاهوتية مختلفة عن آراء لوثر، فقد أطلق عليهم اللاهوتيون «المصلحون». كل الذين اتبعوا هؤلاء الكتّاب «المصلحون» كانوا يعتقدون أن هؤلاء اللاهوتيين قد قدموا أكثر الطرق إلزامًا في قراءة الكتب المقدسة، وفي فهم من هو الله، وما الذي فعله يسوع، وكيف يريد الله من الشعب المسيحي أن يعيش في الكنيسة. وقد كان أكثر اللاهوتيون الذين حظوا بالاحترام والتقدير هو چون كالڤن «١٥٠٩ – ١٩٦٤» «John Calvin»، الذي قضى معظم خدمته في چينيڤ وسويسرا. ومن اللاهوتيين المهمين أيضًا كان هولدريتش زوينجلي «١٤٨٤ – ١٥٣١» «Huldrych Zwingli»، وخليفة زوينجلي كخادم في زيورخ، هنريك بولينجر «١٥٠٤ – ١٩٧٥» «Heinrich Bulleinger». وقد تميزت المفاهيم اللاهوتية التي تبناها هؤلاء وغيرهم من اللاهوتيين المصلحين عن مفاهيم الجماعات اللاهوتية الأخرى، بما فيها اللوثرية – الذين اتبعوا آراء لوثر – والقائلين بتجديد المعمودية – الذين هم أجداد المعمدانيين والخمسينيين في يومنا هذا. فقد حصلوا على اسم «مُصلِحين» لأنهم أرادوا أن يصلحوا كنيسة الله على أساس الكتاب المقدس.

وقد انتشر لاهوت الإصلاح والتقليد الإصلاحي من چنيڤ، حيث كان كالڤن، عبر سويسرا وفرنسا وألمانيا، وعبر إلى البلدان المنخفضة خلال الحقب التالية. وقد قادت الهجرات المهمة إلى انتشار الإيمان المصلح – كوسيلة لفهم الكتاب المقدس وكنظام اعتقاد لاهوتي – في كل أنحاء العالم. واليوم يوجد مسيحيون مصلحون في جميع أنحاء العالم. ففي أمريكا، أتت تيارات من التقليد المصلَح من انجلترا واسكتلندا وهولندا. وقد جاء تأسيس المشيخية الأمريكية في نهاية القرن الثامن عشر نتيجة جهود آلاف من المسيحيين المؤمنين الذين عرفوا أنفسهم على أنهم مسيحيون مصلحون.

في الولايات المتحدة اليوم، تتم المشاركة بالإيمان المصلح بواسطة عدد من المذاهب. «فالكنيسة المصلحة» في أمريكا و«الكنيسة المسيحية المصلحة»، مثلاً، تعكسان تراث وتأثير الهولنديين المصلحين المستقرين في أمريكا. وقد نشأت «كنيسة المسيح المتحدة» من المتطهرين (البيوريتان) Puritan في نيو إنجلاند الذين جاءوا واستقروا في أمريكا ممن اعتنقوا لاهوت الإصلاح ولكن نظموا كنائسهم على أساس نموذج الإبرشيات. وكانوا يعرفون باسم «الإبرشيين» «Congregationalist». وفي هذا التنظيم السياسي، كان كل اجتماع فردي يحكم ذاتيًا في الأساس ويقوم باتخاذ قراراته الخاصة بدون إشراف كيان أوسع. وهكذا ترجع جذور الكثير من المذاهب «المشيخية» المتنوعة في الولايات المتحدة إلى كيانات الكنائس الأوروبية. وهذه الكنائس مؤصلة في اللاهوت المصلح ومرتبة على أساس النموذج «المشيخي» في إدارة الكنيسة.

لكن على الرغم من أننا نتحدث عن التقليد المصلح والإيمان المصلح، فمن المهم أن ندرك أنه تقليد وإيمان كان له دائمًا مختلف الطرق للتعبير عن نفسه لاهوتيًا. فنجد رؤى ومفاهيم أساسية في كتابات كالڤن، خاصة كتابه الكلاسيكي «مبادىء الديانة المسيحية» «Institutes of the Christian Religion» (الطبعات من عام ١٥٣٦ إلى ١٥٦٠). فقد كان هذا الكتاب مثل العمود الفقري بالنسبة للاهوت المصلح، بينما قام لاهوتيون مصلحون آخرون بصياغة مفاهيمهم بطرق مختلفة. بالإضافة لذلك، كان من سمات المسيحيين المصلحين أينما كانوا أن يعبروا عن إيمانهم من خلال إنشائهم لقوانين الإيمان، فهذه «القوانين» أو المعتقدات كانت عبارة عن صياغات لما يفهم المؤمنون أن الكتاب المقدس يعلّمه في مختلف العقائد اللاهوتية. وكانت هذه القوانين الكثيرة في التراث اللاهوتي المصلح تمثّل أيضًا مختلف الطرق للفهم والتعبير عن العقائد أو التعاليم المسيحية. بل أنه حتى الترتيب الذي يتم به التعامل

مع هذه القوانين يختلف من قانون إيمان لآخر. وهكذا يتواجد لدينا كم كبير من التنوع داخل الإيمان المصلح.

يعتبر النظام المشيخي جزءًا واحدًا من أجزاء التعليم اللاهوتي المصلح. وبصورة مباشرة أكثر، حصلت المشيخية على اسمها من الطرق التي تدار بها كنائسها. فالنظام «المشيخي» لإدارة الكنيسة أو للنظام السياسي يميزه «المجلس» كالكيان الإداري الرئيسي. فالكنائس المحلية تدار بواسطة جلسات مجلس الكنيسة، الذي يتكون من «الشيوخ» الذين يتم اختيارهم بواسطة الجماعة (في العهد الجديد، الكلمة اليونانية «presbyteros» – التي اشتقت منها كلمة «Presbyterian» أي «مشيخي» – تعني «شيخ»). يشكّل عدد من الكنائس في منطقة جغرافية معينة مجمعًا، وهذا المجمع يتكون من ممثلين منتخبين (من القسوس والعلمانيين) من الكنائس المحلية، والمجموعة من هذه المجامع تشكّل «السنودس»، وجميع السنودسات تشكل معًا «الأمانة العامة»، والتي تعتبر هي أعلى كيان إداري للكنيسة. كثيرًا ما تمت الإشارة إلى أن الهياكل الإدارية للولايات المتحدة تعكس النظام الإداري للكنيسة المشيخية. فهناك حكومات للمدينة المحلية، وحكومات للمقاطعات، وحكومات للولايات، ثم بعد ذلك الحكومة الفيدرالية أو الوطنية. فالمشيخية هي نظام تمثيلي حيث يتم انتخاب من يقومون بالخدمة في الكيانات الإدارية. وهكذا فإن الوحدة الأساسية للإدارة في الكنيسة المحلية هي مجلس الشيوخ ومن هنا نشأ اسم الكنيسة المشيخية.

يشير «اللاهوت المشيخي» إلى ما يؤمن به المشيخيون عن اللاهوت المسيحي. ويمكننا أن نميّز «شكلاً» أو صياغة محددة للاهوت المشيخي، سواء تاريخية أو بين المشيخيين المعاصرين. فقوانين الإيمان التي كانت جزءًا من التراث الإصلاحي والمشيخي، كانت تعبيرات أساسية عن المعتقدات الإصلاحية أو المشيخية، وكذلك كانت كتابات أولئك اللاهوتيين الذين اعتبروا أنفسهم لاهوتيين «مصلحين».

سوف تركز الفصول التالية على بعض الخطوط الرئيسية للإيمان المصلح في عدد من العقائد المسيحية المهمة. في كثير من الحالات، يشترك المشيخيون في الرؤى والمفاهيم المفتاحية مع المسيحيين الآخرين، ومع التعبيرات الأخرى عن العقائد المسيحية. فالمعتقدات الأساسية في الله وفي يسوع المسيح وفي الروح القدس يعتنقها المشيخيون بصورة مشتركة مع جميع المسيحيين الآخرين. وهذه هي معتقداتنا المهمة والمسكونية التي توحّدنا معًا كإخوة وأخوات في المسيح مع كل الكنيسة المسيحية في كل أنحاء العالم. وهذه التأكيدات العامة على الوحدة هي «الصورة الكبيرة»، إذ أننا نشارك مع المسيحيين الآخرين أكثر كثيرًا مما نعتنقه بصورة مميزة كمعتقدات «مشيخية».

ولكننا إذ نتجول في تفاصيل العقيدة المسيحية، نجد أن اللاهوت المشيخي وقوانين الإيمان المصلحة قد تحدثوا بلهجة مميزة وبتوكيدات محددة. وهذه الأمور المميزة تساعدنا على أن نحدد مفاهيمنا المشيخية بصورة منفصلة عن الآراء اللاهوتية الأخرى، مثل معتقدات الروم الكاثوليك، واللوثريين، والميثودستيين، والمعمدانيين. إننا نميل اليوم للتركيز على الأمور المشتركة بيننا في إيماننا واختبارنا المسيحي، وهي أمور تعتبر شديدة الأهمية، ولكن عندما يتعلق الأمر بفهم ما يجعلنا متميزين باعتبارنا مسيحيين «مشيخيين»، يمكننا عندها أن نلجأ إلى تلك الآراء الإصلاحية التي تعطينا مزيجنا المتفرد من المفاهيم اللاهوتية.

ومما يساعدنا على التعامل مع بعض من هذه المفاهيم، هو أن نقوم بفحص عدد من العقائد المسيحية في الفصول التالية. سوف ننظر أولاً على نطاق واسع في عقيدة «الله الذي يعلن ويخلق ويرشد». وسوف نتعامل هنا مع عقائد إعلان الله في الكتاب المقدس، والثالوث، والخليقة، والعناية الإلهية. القسم الثاني سوف

يقوم بمناقشة عقيدة «المسيح الذي يخلّص بشرًا مثلنا». وهنا سوف نركز على عقائد: البشرية، والخطية، وشخص وعمل المسيح، والروح القدس، والاختيار والتعيين المسبق، والخلاص بالنعمة. أما في القسم الثالث فسوف نركز انتباهنا على «الكنيسة، حيث يبدأ الإيمان، ويتغذى، وينمو»، وفيه سوف ندرس العقائد المختصة بالكنيسة، والحياة المسيحية، والحياة المستقبلية.

إن الإيمان المشيخي هو طريقة لكي تصبح مؤمنًا مسيحيًا، ولكنه ليس الطريقة الوحيدة، بل وقد لا يكون حتى هو أفضل الطرق. ولكن المشيخيين قد أخذوا معتقداتهم اللاهوتية بجدية لأنهم يتعاملون مع الله بجدية. فكلما ندلي بأي تعبير أيًا كان عن الله، فإننا نصبح لاهوتيين. وهكذا فإن اللاهوت المشيخي هو إحدى الطرق لمساعدتنا على فهم من هو الله وما الذي يفعله الله في التاريخ البشري، على أساس تواصل الله مع البشر من خلال الكتاب المقدس. إن هذا الكتاب التمهيدي عن المشيخية يعرّفنا بإحدى الطرق للتفكير اللاهوتي وإحدى الطرق لفهم إنجيل الله الرائع والمجيد، المرتكز على يسوع المسيح ربنا.

الجزء الأول

الله الذي يعلن، ويخلق، ويرشد

(١)
الإعـــــلان

كيف يمكننا أن نعرف الله؟ إنه واحد من أهم أسئلة الحياة الأساسية. فربما لا يوجد إله، أو قد يكون هناك إله. فإن لم يكن هناك إله، فلا حاجة لنا إذًا أن نقلق بشأن هذا السؤال، لكن إن كان هناك إله، وإن كنا مهتمين بأن نكتشف أي شيء عن هذا الإله، فإننا عندها سنتساءل: كيف يمكننا أن نعرف هذا الإله؟

هناك أمر واضح، وهو إذا كان يوجد إله، وهذا الإله غير ظاهر بالنسبة لحواسنا أو لادراكنا الحاضر، فإننا عندها نحتاج لطريقة تعرفه بها، وتكون هذه الطريقة هي شيء أكثر مما يمكننا نحن أنفسنا أن نختلقه أو نخترعه. فنحن نحتاج لطريقة نعرف بها الله، تُمَكِّننا من أن نعرف ذاك الذي هو أبعد من مدى إدراكنا أو أعظم منا، نعرف بها الله نفسه. وهذه الطريقة للمعرفة لابد أن تكون وسيلة يمكننا أن نثق فيها، فلابد وأن تكون وسيلة تقدم لنا الحقيقة عن الله، بينما تكون في ذات الوقت وسيلة يمكننا أن نفهمها ونستوعبها. كما لابد أن تكون هذه الطريقة لمعرفة الله متاحة لجميع البشر، فيجب ألا تكون «معرفة سرية»، أو خاصة بصفوة من الأشخاص المتميزين. يجب أن تكون معرفة الله معلنة وصريحة وعامة لجميع الناس، ويجب أن يمكن استيعابها بالنسبة للجميع، حتى لو لم يقبل كل البشر هذه المعرفة أو يثقون

فيها أو يؤمنون بها، إذ يبدو بحسب خبراتنا أن هذه هي الحال. باختصار، إننا نحتاج لطريقة لمعرفة الله تكون معلنة ومعروفة بالنسبة لنا.

وحيث أننا كائنات بشرية محدودة ندرك حدودنا وقصورنا كبشر، فإن كان لنا أن نحصل على أية معرفة صحيحة عن الله، فلابد أن يقوم الله نفسه بنقل هذه المعرفة إلينا. وحيث أن فكرة «الإله» كانت موجودة منذ بداية التاريخ البشري (كما نفترض)، وحيث أن الناس عبر التاريخ لم يتفقوا على هوية هذا الإله أو على سماته (ويتضح هذا من العدد المهول من الديانات والفلسفات التي كانت جزءًا من التجربة الإنسانية عبر القرون)، إذًا من الواضح أن المعرفة البشرية أو المنطق أو الاختبار وحدهم لا يمكنهم أن يتفقوا بطريقة عامة على معرفة الله. فكل ديانة أو فلسفة لها تعاليمها الخاصة بشأن هوية الله أو سماته. وهذا يقودنا إلى النتيجة بأنه إن كان هناك إله، فإن المعرفة الحقيقية والصحيحة عنه يمكن التوصل إليها فقط إذا اختار الله أن يتم الإعلان عنه. فإن لم يكن الأمر كذلك، فإننا لم نكن نستطيع أن نعرف أي شيء عن الله على الإطلاق. فإن لم يكن قد تم الإعلان عن الله – بطريقة ما – فإننا كنا سنظل جهلاء إلى الأبد بشأن الله.

يبدو هذا واضحًا، أليس كذلك؟ لكن إن كان قد تم الإعلان عن الله، فإنه يجب أن يكون الله نفسه هو الذي يقوم بهذا الإعلان، إذ لا يمكن للبشر أن يكسروا أبواب السماء، ويزيحوا السحاب، ويحملقوا في وجه الله! فلا يمكن أن يحدث ذلك! فإن كان في إمكاننا أن نرى وجه الله على الإطلاق، فيجب أن يكون الله هو الذي يكشف عن ذلك الوجه. فالله هو الشخص الذي يتم الإعلان عنه؛ وهو الشخص الذي يجب أن يقوم بهذا الإعلان – الله هو الذي يجب أن يقوم بالمبادرة.

يعتبر هذا واحدًا من الافتراضات الأساسية في الإيمان المسيحي. فإننا نؤمن أن الله هو الذي قام بالمبادرة واختار أن يعلن عن نفسه أو أن يتواصل مع البشر. وهكذا فعندما نتحدث عن إله يكشف عن نفسه لنا، فإننا نشير لاهوتيًا إلى عقيدة الإعلان. «فالإعلان» يعني «الكشف» أو التعريف بأمر خفي. فالله غير معروف للبشر، الله خفي بالنسبة لنا وبالنسبة لكل الجنس البشري.

> إن كان قد تم الإعلان عن الله، فإنه يجب أن يكون الله نفسه هو الذي يقوم بهذا الإعلان، إذ لا يمكن للبشر أن يكسروا أبواب السماء، ويزحوا السحاب ويحملقوا في وجه الله!

وحيث أننا لا نستطيع أن نرى الله أو نسمعه أو ندركه بحواسنا، يفترض كثيرون من الناس أن الله غير موجود. ولكن المسيحيين يؤكدون أنه رغم أن «الله لم يره أحد قط» (يو ١: ١٨؛ ١يو ٤: ١٢)، إلا أنه حقيقي وموجود. فالله فعّال وإيجابي، ومما يدعو للدهشة، أنه اختار أن يكون معلنًا للإنسان وأن يتواصل مع الجنس البشري. وهذه هي عقيدة الإعلان.

وعقيدة الإعلان هي عقيدة أساسية وجوهرية بالنسبة لكل اللاهوت المسيحي. فبدونها، لا يكون هناك أي لاهوت أو «دراسة عن الله». فبدون إعلان الله عن نفسه، لم يكن في إمكاننا أن نعرف أي شيء عنه على الإطلاق. تتحدث الكثير من الديانات العظيمة في العالم عن اكتشاف طريق إلى الله، فكيف يمكن للبشر أن يكتشفوا السبيل إلى الإله؟ لكن المسيحية تؤكد أن الله هو الذي أوجد الطريق إلى البشر وأنه اختار أن يكون معروفًا للكائنات المخلوقة في هذا العالم.

الإعلان العام

يميز المسيحيون بين الإعلان العام أو الطبيعي وبين الإعلان الخاص. فالإعلان

العام يشير إلى معرفة الله التي يمكن ظهورها في الطبيعة أو من خلال العقل والمنطق البشري. فإذا نظرنا إلى العالم وقلنا: «لابد لمثل هذه الخليقة من خالق؛ فلا يمكن أن تكون قد جاءت إلى الوجود من نفسها»، أو إذا نظرنا إلى البشر وفكرنا قائلين: «آه، لقد صنعنا بصورة رائعة، بصورة شديدة التركيب والتعقيد، لا يمكن أن نكون قد تطورنا ببساطة من تلقاء أنفسنا»، إذًا فإننا نكون في مجال الإعلان «الطبيعي» أو «العام». فالإعلان العام لا يتم التوصل إليه في صورة كلام، بل أنه الفهم الذي نتوصل إليه بوسائلنا البشرية الخاصة – أيًّا كانت – بأنه لابد أن يكون هناك «إله» قد تسبب في خلق العالم والبشر.

بعض اللاهوتيين المصلحين قد أيدوا إعلان الله في الطبيعة، وقد استندوا في ذلك إلى بعض المقاطع الكتابية، مثل النص القائل: «السماوات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه» (مز ١٩: ١). فيبدو من النص أنه يقول إننا إذا نظرنا حولنا فإننا سنرى كل الخليقة وأن هذه الخليقة «تخبرنا» أو «تعلن» لنا عن «مجد الله»، أو عن حقيقة أن هناك إله وراء كل ذلك.

لكن السؤال هو ما إذا كان هذا الفهم للطبيعة كافيًا لكي يعلن لنا عن الله أم لا. فهل يمكننا أن نعرف أن هناك إله عن طريق ملاحظة ومراقبة الطبيعة؟ وهل سنأتي جميعنا إلى نفس النتيجة عن حقيقية الله عن طريق الاعتماد على فهمنا للعالم المحيط بنا؟ لكن حيث إنه ليس كل الناس الذين في العالم يؤمنون بوجود «إله» بالاعتماد على تقييم الطبيعة من حولنا، يبدو إذًا أن الإعلان الطبيعي أو العام بمفرده ليس كافيًا في حد ذاته لكي يقنع الناس بحقيقة وجود الله. بل وأكثر من ذلك، فإنه لا يوضّح على الإطلاق طبيعة أو شخصية الله، أو ما يمكن أن يكون الله قد فعله في التاريخ البشري.

إلا أن بعض اللاهوتيين قد أشاروا إلى أن هذه الآية من المزامير قد كتبت لمجموعة من الناس الذين كانوا يؤمنون بالله بالفعل. فقد كان العبرانيون يؤمنون أن الله موجود وأنه خالق كل الأشياء، ويظهر هذا الأمر بوضوح من أول آية في الكتاب المقدس العبري (تك ١: ١). لذلك فمن الطبيعي أن نقول لهؤلاء الناس أنكم لو نظرتم إلى العالم من حولكم فسوف ترون مجد الله في السماء كما في الأرض. يقول هؤلاء اللاهوتيون إنه يوجد «إعلان عام» عن الله في الطبيعة، ليس لغير المؤمنين، بل للمؤمنين. فنحن نأتي لمعرفة الله، وبعد ذلك، يتواجد لدينا إعلان عام أو طبيعي مذهل من حولنا. وعندما يرى من يؤمنون بالله بالفعل الطبيعة وعجائب الحياة الإنسانية، فإنهم يرون مجد الله أمام أعينهم.

لكن لو لم يكن هناك إعلان عام في الطبيعة، أو حتى لو تواجد هذا الإعلان، فهل سيكون مصدرًا كافيًا لمعرفتنا بالله؟ هل سنتمكن من معرفة كل ما يمكننا أن نعرفه عن الله، أو كل ما نحتاج أن نعرفه عن الله، ببساطة بالنظر حولنا واستخدام منطقنا، ربما، لاستنتاج مجرد وجود الله خلف كل ذلك؟

الإعلان الخاص

لقد أجمع اللاهوتيون المسيحيون على القول بأنه، حتى لو كان هناك «إعلان عام»، فإن هذا الإعلان لا يستطيع أن يخبرنا عن كل ما نحتاج أن نعرفه عن الله. فهناك أمور نحتاج أن نعرفها عن الله لن نتمكن على الإطلاق من استنتاجها من الطبيعة أو من قوى الفكر والمنطق لعقولنا. إننا نحتاج إلى «إعلان خاص»، نحتاج إعلانًا يخبرنا بأمور خاصة، ويعطينا معرفة مميزة عن الله أبعد مما نستطيع أن نعرفها بعقلنا البشري أو بمشاهدة وملاحظة العالم من حولنا.

الكتاب المقدس: إننا نؤمن أن هذا الإعلان الخاص هو ما لدينا في الكتاب المقدس. فالكتاب المقدس هو «إعلان الله الخاص» حيث أنه يكشف معرفة بالله لم يكن في مقدورنا الحصول عليها بأية طريقة أو من خلال أية وسيلة أخرى.

الكتاب المقدس هو «إعلان الله الخاص» حيث أنه يكشف معرفة بالله لم يكن في مقدورنا الحصول عليها بأية طريقة أو من خلال أية وسيلة أخرى.

والكتاب المقدس يطلق عليه «كلمة الله». ونحن نشير له هكذا لأن الله يتحدث لنا عن طريقه. كما أن كتاب عقائد إيمان ويستمينيستر، وهو قانون إصلاحي مهم كتبه تطهريون إنجليز خلال الحرب الأهلية البريطانية في القرن السابع عشر، أشار إلى الكتاب المقدس على أنه «كلمة الله المكتوبة». فالكتاب المقدس هو الوسيلة أو الوسط الذي من خلاله يوصّل الله المعرفة عنه، وهو المكان الذي نتجه إليه لكي نعرف عن الله بطريقة كاملة ومتفردة وجديرة بالثقة. فهو يكشف عن طبيعة الله، أي من هو الله وماذا يفعل. إنه تاريخ أعمال الله في العالم المخلوق. فمن خلال الأسفار المقدسة العبرية نرى كيف كان أهل الإيمان في الأمة الإسرائيلية يؤمنون بما كان الله يعمله، فيما يطلق عليه العهد القديم. فالعهد القديم يكشف عن أعمال الله في تاريخ شعب إسرائيل وفي اختيار إسرائيل لكي يكون شعبه الخاص الذي يحقق مقاصد الله في هذا العالم. فهو يخبرنا بتاريخ إيمان شعب إسرائيل، ونقرأ فيه عن خلق الله للعالم وللبشر، وعن دخول الله في علاقة عهد مع ابراهيم وساره (تك ١٢) لكي يقيم ما سيصبح شعب إسرائيل، الذي سيكون «نورًا للأمم» (إش ٤٢: ٦)، ولكي يكون شعب الله الخادم. يحكي العهد القديم تاريخ شعب إسرائيل من منظور إيمانه، وخاصة تحرير الله المذهل وتخليصه لشعبه إسرائيل من عبوديتهم في مصر (خر٢٠: ٢) وإعلان ناموس الله في الوصايا العشر، لكي يظهر لإسرائيل

كيف كان الله يريدهم أن يعيشوا شعبًا للعهد (خر ٢٠: ١- ١٧). وفي العهد الجديد نرى قمة وتتويج إعلان الله الإلهي في شخص يسوع الناصري، وهو الشخص الذي سمّته الكنيسة المسيحية الأولى يسوع المسيح («المسيا»). لقد كان شعب اسرائيل يتوقع أن الله سيرسل مسيحًا لكي يقيم السلام والعدل على الأرض، ولكن المسيحيين يؤمنون أن مسيح الله قد جاء في شخص يسوع الناصري (أع ٢: ٣٦؛ ٣: ٢٠؛ ٥: ٤٢). إننا نؤمن أن العهد الجديد هو أيضًا تعبير الله الإلهي عن نفسه، وهو إعلان إلهي يأخذ شكله النهائي في شخص يسوع المسيح، الذي يؤمن المسيحيون أنه ابن الله (رو ١: ٤؛ ٢كو ١: ١٩).

وبالاتفاق مع التعاليم اللاهوتية الأخرى، أكّد المشيخيون سلطة الكتاب المقدس، فالله يعلن عن نفسه في الكتاب المقدس، إذ أنه هو إعلان الله الخاص الذي هو مصدر معرفتنا عن الله. ففي الكتاب المقدس، نتلاقى مع الله كما لا نلتقيه في أي مكان آخر. لذلك فإن الكتاب المقدس يمثّل سلطة بالنسبة لنا لأنه أساس معرفتنا بالله. فنحن نؤمن بالكتاب المقدس ونطيعه لأنه المصدر المتفرد لمعرفتنا عن الله. لذلك فإنه متميز بين جميع الكتب والأعمال الأدبية الأخرى لأنه في الكتاب المقدس ومن خلاله يتكلم الله. وقد تحدث الله بأكمل وضوح في شخص يسوع المسيح.

نتلاقى مع الله كما لا نلتقيه في أي مكان آخر لذلك فإن الكتاب المقدس يمثّل سلطة بالنسبة لنا لأنه أساس معرفتنا بالله.

لكن عندما نقول إن الكتاب المقدس ذو سلطة وجدير بالثقة، أو أنه متفرّد، فهذا لا يجيب على جميع أسئلتنا. فإننا سنحتاج أن نعرف ليس فقط ما نؤمن به عن الله ولكن أيضًا كيف يريدنا الله أن نعيش. نحتاج أن نعرف ما هي القيم التي نتبناها

في الحياة، أو ماذا يجب أن يكون أساس قراراتنا. وهذا يعني أنه ستكون هناك حاجة دائمًا لتفسير الكتاب المقدس، ولأن نستخدم جميع المصادر المتاحة لنا التي يمكنها أن تساعدنا على فهم ما يعنيه الكتاب المقدس، وما هي معاني الكتاب المقدس لمواقف حياتنا الخاصة. من المهم أن نؤكد على سلطة الكتاب المقدس، ولكن من المهم أيضًا أن نأخذ الخطوات التالية وأن نكون جادين بشأن تفسير الكتاب المقدس بحيث يلعب دورًا سلطويًا في حياتنا المسيحية.

بينما يؤمن المشيخيون أن الكتاب المقدس موحى به من الله، فإنه توجد آراء متنوعة بهذا الشأن. ولكن يظل الاقتناع العام موجودًا بأن الله هو الشخص الذي، بصورة ما، «خلف» الكتاب المقدس. فالكتّاب قد قاموا بكتابة الكتاب المقدس، ولكن الروح القدس كان، بنحو ما، متداخلاً في عملية الكتابة. إن كيفية عمل الروح في هذا الأمر هي، في حد ذاتها، مسألة موضع خلاف. فهل قاد الروح كتابة كل كلمة من الكتاب المقدس، بحيث أن الكتاب كانوا مجرد سكرتاريون أو كاتبي اختزال؟ أم هل قام الله باقتراح الأفكار التي كتبها الكتّاب بكلماتهم الخاصة؟ أو هل قام روح الله ببساطة باستخدام الكلمات التي كتبت بواسطة المؤلفين بمفردهم – كشهادة لإعلان الله في يسوع المسيح؟ في التعليم الإصلاحي نجد ممثلين لكل من هذه الآراء الثلاثة. بل أن بعض «المشيخيين الصالحين» يؤمنون بكل من هذه الآراء، ولكن جميعهم يؤكدون أن الكتاب المقدس هو «موحى به» من الله.

إن الكتاب المقدس هو كتاب متفرّد لأنه فيه ومن خلاله يتكلم الله بطريقة خاصة. الكتاب المقدس هو إعلان الله الإلهي عن نفسه، وهو «كلمة الله المكتوبة». إنه موحى به من الله وهو مصدر سلطة لحياتنا في الإيمان، فيما نؤمن به وفيما نفعله. كما

نؤمن أيضًا أن الروح القدس مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالكتاب المقدس، فهو الذي أوحى لكتّابه ولأولئك الذين صاغوا الوثائق الكتابية. كما أن الروح القدس ينير ويكشف لنا الكتاب المقدس، بما يعني أن روح الله القدوس هو الشخص الذي يعطينا الاستنارة ويقنعنا بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله. ومن خلال الروح القدس نتمكن من فهم الله في الكتاب المقدس، فمن خلال الإعلان الخاص في الكتاب يتواصل الله معنا، ونتمكن من معرفة إرادة الله ومقاصده لحياتنا.

كما يساعدنا الروح القدس أيضًا على أن نفسّر الكتاب المقدس. يؤمن المسيحيون المشيخيون أننا يجب أن نستخدم جميع الوسائل والأدوات التي لدينا لكي تساعدنا على فهم الكتاب المقدس. فهناك طرق متنوعة ومختلفة للتعامل مع الكتاب المقدس، باستخدام مفاهيم ما يطلق عليه «نقد الكتاب المقدس». لكن هذا لا يعني النقد الذي ينتقد أو يقلل من قيمة الكتاب المقدس، ولكنه يعني طريقة وسيلة لتقييم الكتابات. ففيه مثلاً ندرس لغة الكتاب المقدس، وخلفياته، والثقافات التي كتب فيها، وصياغته الأدبية، والمجتمعات التي كانت أول من قرأ الكتاب المقدس – جميع هذه الأبعاد معًا. فندرس باستخدام أفضل المصادر التي لدينا، لكي نكون مؤهلين بقدر الإمكان لسماع الله وهو يتكلم إلينا في الكتاب المقدس.

ولكننا في نفس الوقت نعتمد أيضًا على الروح القدس لكي يرشدنا في تفسيراتنا، فنصلي عندما نقرأ الكتاب المقدس لكي يعطينا الله الروح القدس الذي يرشدنا إلى حق الله، والذي يساعدنا على فهم ما يريده الله منا أن نعرفه. فنحن لا نثق في فهمنا الشخصي فقط، بل نثق أكثر أن الله سيستخدم فهمنا، وبواسطة الروح القدس سيتحدث إلينا من خلال الكتاب الموحى به لكي يوصّل كلمة الله لنا اليوم. إننا نتمكن

من «سمع» أو «فهم» روح الله وهو يتكلم لنا من خلال الروح القدس بعدة طرق. وواحدة من أفضل هذه الطرق هي الشركة مع مؤمنين آخرين في الكنيسة. فحيث تتم دراسة الكتاب المقدس، وتعليمه والوعظ به، يمكن للروح القدس أن يعمل ويعطينا الرؤية والفهم الذي نحتاجه. فكلمة الله وروح الله يعملان معًا. هكذا يساعدنا الروح القدس على تفسير الكتاب المقدس، والكتاب المقدس هو الوسيلة التي يستخدمها الله لإرشادنا من خلال الروح القدس.

بذلك نرى أن الكتاب المقدس هو «إعلان الله الخاص». ففي الكتاب المقدس يتكلم الله لنا كما لا يحدث في أي مكان آخر. وبينما ننتقل لمناقشة ما يؤمن به المشيخيون، فإننا سنعتمد على الكتاب المقدس كمصدرنا الرئيسي للسلطة، فقد كان اللاهوت المصلح والمشيخي عبر القرون يرتكز على الكتاب المقدس كنقطة بدايته. ولذلك فإن تعبيراتنا اللاهوتية هي تعبيرات مستقاة مما نؤمن أن الكتاب المقدس يعلمه. وعندما ندرس اللاهوت ونعترف بإيماننا، فإننا نقوم بذلك على أساس إعلان الله عن نفسه في الكتاب المقدس. هذا هو السبب في أن الكتاب المقدس له تلك المكانة المحورية في كنائسنا وفي حياتنا الشخصية. إننا نقرأ وندرس الكتاب المقدس لكي نفهم من هو الله، وما الذي يفعله، وكيف يريدنا الله أن نعيش. من خلال الكتاب المقدس ننال معرفة عن الله موثوق بها وذات سلطة، فنعرف الله من خلال الكتاب المقدس إذ يتكلم إلينا بالكلمة وبالروح. وعندما نعرف الله فإننا نحبه ونسعى لكي نطيع مشيئته لحياتنا. ولهذا قال كاتب المزمور أن كلمة الله هي «سراج لرجلي ونور لسبيلي» (مز ١١٩: ١٠٥).

أسئلة للمناقشة

-١ ما «الدليل» الذي تراه من حولك على وجود الله؟

-٢ لماذا كان «الإعلان الخاص» مهمًا؟

-٣ كيف استطاع الكتاب المقدس، الذي كتب في الأزمنة القديمة، أن يكون مهمًا لنا اليوم؟

-٤ ماذا نعني «بسلطة» الكتاب المقدس؟

-٥ لماذا يكون من المهم أن نؤمن أن لدينا كتابًا مقدسًا أهلاً للثقة؟

(٢)
الثالـــوث

إيماننا المشترك

يعترف المسيحيون المشيخيون، مع بقية المسيحيين الآخرين، بإيماننا بالإله الواحد في ثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح القدس. هذه هي العقيدة المسيحية للثالوث. فنحن نعبد إلهًا واحدًا نعرفه بثلاثة أقانيم متميزين عن بعضهم البعض، وهذه الأقانيم الثلاثة يطلق عليها الآب والابن والروح القدس. لكنهم ليسوا ثلاثة أشخاص متميزين ومنفصلين بمعنى أنهم ثلاثة أفراد يقوم منهم بمهمة منفصلاً عن الآخرين، ولكن الآب والابن والروح القدس هم متصلون اتصالاً وثيقًا ببعضهم البعض، فهم «إله واحد في ثلاثة أقانيم»، وهذا هو ما تعترف به الكنيسة. ونحن نعترف بهذا باعتباره سرًا، إذ أننا لا نفهم ولا يمكننا أن نفهم كيف يمكن أن يكون هذا الأمر، ولكننا نؤمن أن هناك إله شخصي واحد، وأن هذا الإله يحيا ويعمل بثلاث طرق مختلفة في نفس الوقت. والآن دعونا نكتشف هذا الأمر قليلاً.

فمثل شعب إسرائيل في القديم وكما يظهر في كل العهد القديم، نحن نعترف بإيماننا بإله واحد. فقد كان الأمر الأساسي في إيمان العهد القديم التأكيد بأن: «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد» (تث ٦: ٤). فقد كان على شعب إسرائيل

أن يعبد ويخدم إله «واحد»، هو وحده الكائن الأسمى والأعلى. ليس المسيحيون مشركين بالله، بمعنى أنهم لا يعبدون عدة آلهة، ولكنهم «موحّدون» أو «يؤمنون بالتوحيد» مثل إسرائيل، أي أنهم يؤمنون بإله واحد. وهذا الإله هو إله شخصي، فنحن لا نعبد الطبيعة، أو قوة ما، أو كائن غير شخصي، بل نعبد إلهًا يمكنه أن يعرفنا وأن يحبنا. إننا نؤمن بإله شخصي واحد.

كما نؤمن أيضًا بأن هذا الإله يحيا ويعمل بثلاث طرق مختلفة في نفس الوقت. لم يستطع المسيحيون الأوائل أن يفصلوا إيمانهم بالله عن شخص يسوع الناصري. فقد كان يسوع الناصري متفرد في تجربتهم. ففي يسوع، وجد الأتباع الأوائل أنهم قد اختبروا الله، إذ كان يسوع يسلك كما يسلك الله. كان يسوع يقوم بأمور لم يكن يستطيع أن يقوم بها إلا الله. فقد كان يسوع، كما كان يؤمن به المسيحيون الأوائل، «الله معنا» («عمانوئيل»، مت ١: ٢٣). لذلك فإننا عندما نلتقي مع الإنسان يسوع، فإننا نلتقي بالله. كانت الكنيسة عبر القرون الأولى تدرك أن يسوع هو الله؛ ومع ذلك، فقد كان يسوع أيضًا مميزًا عن إله العهد القديم، لأن هذا الإنسان يسوع كان أيضًا شخصًا بشريًا حقيقيًا. فقد كان يصلي لله (يو ١٧)، ويعتمد على الله (مر ١٤: ٣٥-٣٦)، وعاش حياته في طاعة واثقة لله (يو ٤: ٣٤). وهكذا فإن لدينا هنا بعدان، كان يسوع هو الله، كما كان المسيحيون الأوائل يؤمنون؛ ولكنه كان أيضًا مميزًا عن الله.

وبطريقة مماثلة، لم يستطع المسيحيون الأوائل أن يفصلوا إيمانهم بالله أو إيمانهم بيسوع عن اختبارهم للروح القدس. ففي يوم الخمسين، حل الروح القدس على الكنيسة بقوة عظيمة (أع ٢). وقد علم هؤلاء المسيحيون الأوائل أنه من خلال

الروح القدس كانوا يختبرون قوة الله. فقد كانوا يطلقون على الروح «الرب» (٢كو ٣: ١٧- ١٨) و«الله» (أع ٥: ٣- ٤). وقد وجدوا وهم يعيشون حياتهم كتابعين ليسوع المسيح أن الروح القدس كان رفيقًا لهم، فالروح القدس شخصي أيضًا (رو ٨: ١٤، ١٦؛ أف ٤: ٣٠). لقد عاش الروح القدس في حياتهم وقادهم إلى الحقائق العميقة للإيمان، تمامًا كما قال لهم يسوع (يو ١٦: ١٣). وقد أدركوا أن هذا الروح كان هو أيضًا مميزًا عن الله وعن يسوع، ومع ذلك، وبمثل هذا التأكيد، كانوا يؤمنون بأنهم في الروح يلتقون كذلك مع الله.

لقد صارعت الكنيسة المسيحية خلال القرون الأولى في محاولة لإيجاد الكلمات واللغة الملائمة للاعتراف بإيمانها في الله، فالله هو «واحد»، ولكنه «ثلاثة». هناك وحدانية في الله، ومع ذلك فإن هناك أيضًا «ثالوث» - وهو المصطلح الذي بدأ استخدامه. وأخيرًا اعترفت الكنيسة بإيمانها أن هناك «إله واحد في ثلاثة أقانيم». فالله الواحد الشخصي يحيا ويعمل بثلاث طرق مختلفة في نفس الوقت. لكن من المهم أن ندرك أن هذا الإله يعمل بثلاث طرق مختلفة «في نفس الوقت» - لأن هذا يؤكد لنا أن هذا الإله الواحد ليس مجرد أنه «يتظاهر» بأنه شخص آخر عندما نلتقي بيسوع المسيح أو بالروح القدس. فيسوع والروح القدس هما الله بالحقيقة، وهما بالحقيقة الله في نفس الوقت الذي يكون فيه الله الآب هو الله.

اعترفت الكنيسة بإيمانها أن هناك «إله واحد في ثلاثة أقانيم». فالله الواحد الشخصي يحيا ويعمل بثلاث طرق مختلفة في نفس الوقت.

إحدى الآراء التي رفضتها الكنيسة الأولى وأطلقت عليها لفظ هرطقة هي ما يطلق عليه «التشكّل»، بما يعني أن الله ظهر في ثلاثة أشكال أو مراحل مختلفة.

ففي العهد القديم، كان هناك الله الآب؛ وفي العهد الجديد هناك الله الابن، ثم بعد يوم الخمسين، كان هناك الله الروح القدس. وهكذا، فمثلما يحدث في المسرحيات بحسب توزيع الشخصيات، كان الله «يتكشّف» تدريجيًا في ثلاثة شخصيات أو أشكال مختلفة. أحيانًا نسمع تفسيرًا للثالوث بالقول إن الله هو مثل الماء، فالماء يوجد في ثلاثة أشكال مختلفة، كصلب وسائل وغاز. فهو كصلب يكون ثلجًا، وكسائل يكون ماء، وكغاز يكون بخار ماء. وهكذا يكون الله كثالوث يوجد في ثلاثة أشكال مختلفة. ولكن الكنيسة رفضت هذه الفكرة كهرطقة، إذ أنه يوجد فقط إله واحد، الله في ثلاثة أقانيم – وكل من هذه الأقانيم دائمًا وأبدًا هو الله. فالأقانيم لا يتواجدون في ثلاثة أشكال مختلفة في الأزمنة المختلفة من التاريخ – مثل الصلب، أو السائل، أو الغاز. كلا، فالله يعمل كثلاثة أقانيم في نفس الوقت دائمًا وإلى الأبد. فالثالوث الآب والابن والروح القدس هو إله واحد سرمدي.

كما أن الثلاث أعضاء أو أقانيم في اللاهوت هم متساوون تمامًا مع بعضهم البعض. كانت هذه النقطة أيضًا مهمة بالنسبة للمسيحيين الأوائل. فقد كانت إحدى الآراء التي رفضتها الكنيسة الأولى ما يطلق عليه «المرتبة الأقل أهمية»، فقد كانت هذه هي النظرة التي تقول إن الابن والروح القدس كانا «أقل» من الله الآب، أي أنهما «ثانويان» بمعنى أنهما غير مساويين لله الآب أو ليسا إلهًا «كاملاً». كان الذين يؤمنون بهذه الفكرة يحاولون أن يحموا «وحدانية» الله. فالله واحد، وهو لا يمكن أن يشارك ذاته أو جوهره مع كائنات أخرى، ولذلك فلابد أن يكون الابن والروح القدس أقل ألوهية من الآب.

لكن الكنيسة رفضت هذا الرأي لأنه لا يمثّل بأمانة ما آمنت الكنيسة الأولى بأن

العهد الجديد كان يعلّمه. فلو كانت فكرة «المرتبة الأقل أهمية» صحيحة، عندها لن يكون الابن ولا الروح القدس إلهًا بالكامل، وهذا يعني أن يسوع المسيح لا يمكن أن يكون إلهًا كاملاً، وهذا معناه أن الله لم يدخل إلى العالم بالكامل في شخص يسوع المسيح لكي يصنع الخلاص، ولكان ذلك يعني أن الروح القدس ليس إلهًا كاملاً، وهكذا لا يكون الله كليًا مع الكنيسة في حضور الروح القدس فيها، لكي يرشد ويقود الكنيسة وحياة المسيحيين كأفراد.

وهكذا رفضت الكنيسة الأولى «التشكّل» كما رفضت نظرية «المرتبة الأقل أهمية» لكي تؤكد على التساوي الكامل بين الآب والابن والروح القدس. وأخيرًا تم تطويع لغة الفلسفة اليونانية لمحاولة فهم هذا الحق، فقيل إن الآب والابن والروح القدس يشتركون في نفس «الجوهر» – نفس «خاصية الألوهية» – مع بعضهم البعض، وأنهم وحدة لا تنفصم، فهم يشاركون مع أحدهم الآخر تلازمًا سرمديًا، وأنهم «الله» بالكامل وتمامًا. الثلاثة هم واحد، والواحد هو ثلاثة؛ فالآب والابن والروح القدس هم إله واحد في ثلاثة أقانيم.

على أنه من الصعب فهم وتفسير عقيدة الثالوث، فهي في النهاية سر. فمثلاً، أننا ندرك عنصرًا مهمًا في اللغة التي تعبر عن الثالوث، فرغم أننا نتحدث عن «الآب»، و«الابن»، فإننا نعرف أن الله هو محايد الجنس باعتباره إلهًا. وقد كان هذا الأمر حجر عثرة بالنسبة للبعض بسبب استخدام التعبير «المذكّر»، مما يوحي بأن الله كذكر وكأب، بالنسبة للبعض، «يرفع الذكورة إلى مرتبة الألوهية». ولكننا نعلم أنه ليس هذا هو المقصود في لغة التثليث، فالله «روح» (يو ٤: ٢٤)، وتقسيم «الذكور» و«الإناث» لا ينطبق على الله. لذلك يمكننا أن نفكر في تعبيرات «الآب» و«الابن»

على أنها مصطلحات ترتبط بالعلاقة، إذ توضّح هوية «الأقنوم الأول» في الثالوث في علاقته «بالأقنوم الثاني» في الثالوث. وهكذا فإن مشكلة التعبير عن الثالوث هي واحدة من الدلائل على مدى صعوبة الحديث عن الثالوث ومحاولة استيعابه.

ولكن الحقيقة هي أن الثالوث هو نقطة البداية لكل اللاهوت المسيحي. وهذا لأن اللاهوت يعني التفكير أو الحديث عن الله، ولذلك فإن كنا نفكر في اللاهوت المسيحي، فلابد أن نكون واضحين بشأن نوع الإله الذي نتحدث عنه – فلابد أن نكون واضحين بشأن هوية الله. ولذلك فإن الإجابة الخاصة بالتعليم المشيخي هي نفس الإجابة التي يشترك فيها جميع المسيحيين: فنحن نؤمن بإله واحد في ثلاثة أقانيم. وبالنسبة لنا فإن الإله السرمدي يتصل بنا بهذه الأقانيم الثلاثة. إننا لا نعبد أو نناقش أو نعرف أي إله آخر، فالله باعتباره ثالوثًا هو المصدر الوحيد للاهوتنا، وهذا الإله هو الحقيقة الإلهية الوحيدة. فالله كثالوث هو الطريقة التي يتصل بها بالبشر، وهو الإله الذي تعرفه الكنيسة، وهذا الإله هو الذي عبر إلينا لكي يقدم خلاصًا للعالم. وفي كل ما سيتبع، وفي كل مسألة لاهوتية أخرى سنتعامل معها، سوف نسلّم بأن هذا هو الإله الذي نتحدث عنه: الله كالآب والابن والروح القدس.

من هو الله؟

لكن من هو هذا الإله الذي نعرفه بأنه الآب والابن والروح القدس؟ يمكننا أن «نعرِّف» من هو الله بعدد من الطرق المختلفة. ففي كل أنحاء الكتاب المقدس، يوصف الله بأن له العديد من السمات والصفات: فالله محبة (١يو ٤: ٨)، وبار (مز ٧: ٩، ١١)، ورحيم (خر ٣٤: ٦)، وعادل (إش ٣٠: ١٨)، وهذه هي فقط بعض من صفاته. وهناك عدد واحد من سفر المزامير يجمع بعضًا من هذه الصفات معًا: «الرب حنّان وصدّيق وإلهنا رحيم» (مز ١١٦: ٥).

لقد أسهب اللاهوتيون في التعبير عن تلك الصفات إذ كانوا يحاولون أن يرسموا معًا ما يعلمه الكتاب المقدس عن هوية الله. وفيما يلي إحدى الصور عن الله بحسب ما عبّر عنها كتاب عقائد إيمان ويستمينيستر، وهو عبارة عن اعترافات إيمان مصلح من القرن السابع عشر. فيقول كتاب عقائد الإيمان إنه يوجد:

إله واحد فقط حي وحقيقي، وهو كائن غير نهائي في وجوده وفي كماله، أنه الروح الأطهر، وهو غير مرئي، وبلا جسد أو أجزاء أو انفعالات أو رغبات جنسية. لا يتغير، شديد السمو والعظمة، سرمدي، لايمكن إدراكه، كلي القدرة، كلي الحكمة، كلي القداسة، مطلق الحرية، الثابت المطلق، الذي يعمل جميع الأشياء بحسب مشورة مشيئته الثابتة البارة لأجل مجده الشخصي. كلي المحبة والنعمة والرحمة وطول الأناة، كثير الصلاح والحق، غافر للخطايا والذنوب والتعديات. وهو المجازي لمن يطلبونه باجتهاد، ومن ناحية أخرى فإنه كلي العدل ورهيب في دينونته، إذ يبغض كل خطية، وهو الذي، بأية حال، لا يبرىء المذنب. (العقائد ٦,٠١١)

هذا مجرد وصف ضئيل! فهذه هي إحدى المحاولات لوصف الله في كل عظمته وجلاله.

إن ما يوجّه هذا الوصف انتباهنا إليه هو بعدان في الله. وهذا هو ما يطلق عليه اللاهوتيون «سمو الله» و«ملازمته للخليقة». فالله سام بمعنى أنه «فوق وأعلى» من العالم ومن كل الخليقة، فالله هو العلي والسامي في الكون. الله عظيم، «عال ومرتفع» (إش ٦: ١). والله، كما تقول عقائد الإيمان، «شديد السمو والعظمة»، «سرمدي»، «كلي القدرة». الله سام.

ولكن الله أيضًا «ملازم للخليقة»، وهذا يعني أن الله «قريب» من الخليقة وقريب

منا، فالله إله شخصي. وكما تقول عقائد الإيمان، فإن الله «كلي المحبة والنعمة والرحمة وطول الأناة، كثير الصلاح والحق، غافر للخطايا والذنوب والتعديات». فالله متداخل في هذا العالم كإله شخصي وقريب منا. فعظمة الله وسموه لا تجعله بعيدًا عنا على الإطلاق، فالله إله شخصي ومحب ويدخل إلى حياة الخليقة وإلى حياة كل منا.

إننا باعتبارنا مسيحيين مشيخيين نبدأ من الثالوث، فإننا نؤمن بإله واحد نعرفه في ثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح القدس، وعمل كل من الأقانيم الثلاثة هو عمل الله الواحد. فالله الواحد يعمل في الكون بثلاثة طرق مميزة: كالآب والابن والروح القدس.

فأول اعتقاد واعتراف لنا عن الله عادة ما يكون بأننا نؤمن «بالله الآب كلي القدرة، خالق السماوات والأرض». وهذه هي الكلمات الافتتاحية لقانون الإيمان الرسولي. وقد بدأت التأكيدات الجوهرية في هذا القانون تتشكّل في البدايات المبكرة للتاريخ المسيحي. فينسب الكتاب المقدس عمل الخلق لله، فنحن نعرف جيدًا الكلمات المألوفة التي يفتتح بها الكتاب المقدس في سفر التكوين: «في البدء خلق الله السماوات والأرض..» (تك ١: ١). وفي أماكن أخرى في الكتاب المقدس، يتم الحديث عن عمل الخلق في علاقته أيضًا بالله الابن. فمثلاً في يوحنا ١: ٣، في الحديث عن يسوع المسيح باعتباره الكلمة الأزلي، يقول النص أن «كل شيء به كان» – أي من خلال يسوع المسيح. كما يقول الرسول بولس في رسالة كولوسي ١: ١٦ عن يسوع المسيح: «الكل به وله قد خلق». وهذا يقودنا إلى العقيدة التي ذكرناها للتو، بأن أعمال كل من أقانيم اللاهوت هي أعمال الثالوث كله. وبالمثل، فإننا نعتبر أن عمل الآب يتعلق بالخلق؛ وعمل الابن هو الخلاص أو المصالحة؛ وعمل الروح القدس هو

خلق الحياة الجديدة. ولكن الله واحد، وعمل أقنوم واحد من الثالوث هو أيضًا عمل الثالوث بأكمله.

الثالوث والحياة اليومية

إن عقيدة الثالوث هي واحدة من أصعب العقائد المسيحية في الفهم، إذ أننا في النهاية لا نستطيع أن «نفهمها ونستوعبها»، حيث أننا بشر محدودون نحاول أن نسبر غور الإله الأسمى، الذي هو فوقنا وأعلى منا وأبعد من حدود فهمنا. فالله «إله» ونحن «بشر»، فكيف يمكن لله أن يتواجد «وهو واحد في ثلاثة أقانيم»، هذا سر لا يمكننا «تفسيره» بقدر ما يمكننا أن «نعترف به» ونؤمن به كتعبير عن إيماننا.

لكن على الرغم من أن الثالوث يمكن أن يبدو مصطلحًا شديد التقنية والتجريد، إلا أنه جوهري في اللاهوت المشيخي فيما يتعلق بفهمنا لله. فجميع أحاديثنا في «اللاهوت» – دراسة شخص الله – مرتكزة على إيماننا بهوية الله على أنه إله واحد في ثلاثة أقانيم. ولكن الثالوث هو عقيدة لها مضامين شديدة العملية في حياتنا اليومية. فالثالوث لا يقودنا فقط نحو ما نؤمن به عن الله، ولكنه أيضًا يقوم بتشكيلنا بإعطائنا التوجيهات اللازمة لإيماننا وأعمالنا كل يوم.

إحدى هذه الأمور هي أن الثالوث يعني أننا يمكن أن نثق في الله، أي أن ما نعرفه عن الله من خلال الكتب المقدسة، كالآب والابن والروح القدس، يتفق مع الطبيعة الداخلية للإله المثلث الأقانيم. فالطريقة التي يصوِّر بها الله في الكتاب المقدس، والطريقة التي يعمل بها الله في العالم اليوم تتفقان معًا. لذلك فليس علينا أن نقلق من أننا قد «انخدعنا»، وأن الله الذي ظهر لنا مختلف في طبيعته عن الله الموجود سرمديًا في اتحاد من ثلاثة أقانيم. فهذا يعطينا الثقة أننا لن نضل بعيدًا

إلى آراء مختلفة عن الله لا تتفق مع حقيقة هويته. وهكذا فإن لدينا إعلان أهل للثقة عن الله.

ثانيًا، إن الثالوث عملي للغاية بالنسبة لنا إذ أنه يوجّهنا إلى طبيعة علاقته بحياتنا. فالله الواحد في ثلاثة أقانيم هي فكرة ترتبط «بعلاقة». فالأقانيم الثلاثة في اللاهوت يرتبطون ببعضهم البعض بمحبة إلهية، في «سكنى» متبادلة للحب الإلهي الذي يميز حياتهم الإلهية. فكل عضو في الثالوث له هوية مميزة في علاقته بالأقانيم الأخرى. فالابن هو «ابن» في علاقته «بالآب» والروح القدس. والروح القدس هو «الروح» في علاقته «بالابن» و«الآب». فما يعني ذلك؟ هذا بالتأكيد يعني أنه كما يميز الحب الثالوث السرمدي، هكذا يجب أن يميز الحب حياتنا أيضًا. فإن قلنا أن «الله محبة» (١يو ٤: ٧-٢١)، يكون علينا أن «نحب بعضنا بعضًا لأن المحبة هي من الله وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله» (١يو ٤: ٧). فأن نعرف الله يعني أن نحب الآخرين، إذ أن نموذج محبتنا هو المحبة الموجودة في الثالوث السرمدي بين الآب والابن والروح القدس. ونحن نعكس هذه المحبة عندما نعيش حياتنا في علاقة مع معرفة الله تعني حبنا للآخرين. فنموذج الحب الذي يجب أن نتبعه كامن في الثالوث في العلاقة بين الآب، والابن، والروح القدس. الآخرين، كما قصد لنا الله.

> معرفة الله تعني حبنا للآخرين فنموذج الحب الذي يجب أن نتبعه كامن في الثالوث في العلاقة بين الآب، والابن، والروح القدس.

والمضمون العملي الثالث لعقيدة الثالوث هو أن حياتنا متكيفة وفقًا للمساواة والعدل. فالمحبة تعبر عن نفسها في الدافع لتحقيق العدالة والسلام والمساواة بين الناس. فكما أن الأقانيم الثلاثة متساوون جميعًا في القوة والمجد ويشاركون معًا

سكنى متبادلة للمحبة، هكذا أيضًا مجتمعاتنا البشرية وحياتنا الإنسانية يجب أن تعكس نفس هذه المساواة. لقد رفضت الكنيسة الأولى جميع المحاولات لجعل الثالوث في ترتيب «هرمي» – بحيث يكون هناك أقنوم واحد هو «الأسمى» أو «الحاكم» للآخرين (انظر التعليقات السابقة على فكرة «المرتبة الأقل أهمية»). بل بدلاً من ذلك، تؤكد الكنيسة على أن الأقانيم الثلاثة هم بالمساواة «الله». لذلك فإننا ندرك ونعترف بنفس هذه المساواة بين الناس وبعضهم البعض كبشر، في سعينا لتمثيل وإظهار الشركة الإلهية للثالوث على المستوى البشري. وهكذا يجب أن تكون حياتنا الجماعية والشخصية موجّهة نحو معاملة الآخرين بطرق تتفق مع النموذج الإلهي. ويمكن لهذا الأمر أن يقودنا إلى اهتمامات وأعمال تهدف لإقامة العدل والسلام في مجتمعاتنا وفي علاقاتنا مع الآخرين في بيوتنا وفي أسرنا وفي اجتماعاتنا.

بهذه الطرق يمكن لمفاهيمنا عن الثالوث أن تؤثر بصورة قوية وفعالة على الطريقة التي نعيش بها. فإدراكنا للإله الواحد في ثلاثة أقانيم يمكن أن يعطينا مسارًا للحياة يستطيع أن يوجّه حياتنا لاتجاهات ذات مغزى. فعندما نسأل، «من هو الله؟» ونجيب، «الله هو الإله الواحد في ثلاثة أقانيم»، يمكن لحياتنا وأفكارنا أن تقودنا إلى مسارات واتجاهات غير متوقعة.

أسئلة للمناقشة

-١ لماذا يؤمن المشيخيون بالثالوث؟

-٢ لماذا يكون من المهم أن نفهم أن الله «متسامي» وأنه «ملازم للخليقة» في نفس الوقت؟

-٣ هل تميل للتفكير في عضو واحد من أقانيم الثالوث أكثر مما تفكر في الباقين؟ ولماذا؟

-٤ كيف تتخيل العلاقة بين الآب، والابن، والروح القدس؟

-٥ هل الأقانيم الثلاثة في الثالوث متساوون معًا؟ وماذا يقتضي ذلك بالنسبة للعلاقات في المجتمع البشري؟

(٣)
الخلق

الله خالق. فالله هو خالق «السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى»، جميع الأشياء «المرئية وغير المرئية». هذه التعبيرات مأخوذة من نسخ مختلفة من إقرار الإيمان النيقاوي، وهو تأكيد مسيحي شديد القدم، ويعبّر عن اعترافنا وإيماننا الأساسي بالله. فالله، كما نقول، هو ضابط الكل، فالله هو خالق كل الأشياء وهو ضابط ومتحكم في كل شيء، وجميع الأشياء تصدر من الله.

الله هو منشىء العالم، وهذا هو أمر يعترف به جميع المسيحيين باعتباره إيمانًا أساسيًا. والله هو الذي يقف خلف جميع الأشياء. لكن ما يختلف فيه المسيحيون أحيانًا هو عندما نحاول أن نتكهّن بكيفية خلق الله للعالم، فنختلف في عملية الخلق نفسها. إننا نقرأ عن خلق الله للعالم في الأصحاح الأول من السفر الأول للكتاب المقدس، سفر التكوين. فيشير العدد الأول من الكتاب المقدس إلى أنه «في البدء خلق الله السماوات والأرض» (تك ١: ١). ثم تأتي الأعداد التالية لتروي خلق الله لكل شيء آخر – بما فيه الإنسان. لقد أخذ البعض تلك الرواية التي تخبرنا عن الله كالخالق وفسروها بصورة حرفية مباشرة، فهم يقرأون سرد سفر التكوين للخلق كأنه رواية تاريخية، وقد قاد هذا للاعتقاد بأن الله خلق العالم وكل ما فيه في ستة

أيام حرفية، بحسب الترتيب المعين الموضّح في الرواية الكتابية.

ولكن علماء الكتاب المقدس قد ساعدونا على أن نفهم أن تلك الأصحاحات الأولى من سفر التكوين لا نحتاج أن نقرأها بطريقة حرفية لكي تكون حقيقية. فتلك الإصحاحات، بل في الحقيقة الكتاب المقدس كله، قد كتب لكي يخبرنا بأمر شديد الأهمية بما لا يقاس. لقد كتبت هذه الأصحاحات لكي تؤكد لنا حقيقة الله وحقيقة أن الله هو خالق جميع الأشياء. تخبرنا رواية سفر التكوين عن هذا الحق في روايات منظمة. وعندما نقرأ هذه الأعداد فإننا نحتاج أن ندرك هذا الغرض. فالغرض من قصص الخلق ليس أن تخبرنا بكيفية خلق الله للعالم، بل أن تخبرنا بأن الله هو الذي خلق جميع الأشياء «ما يرى وما لا يرى». وهكذا فإن لهذه الروايات غرض لاهوتي.

> الغرض من قصص الخلق ليس أن تخبرنا بكيفية خلق الله للعالم بل أن تخبرنا بأن الله هو الذي خلق جميع الأشياء «ما يرى وما لا يرى».

هذا الغرض اللاهوتي حقيقي بغض النظر عن تفاصيل القصة. فإننا نعرف على سبيل المثال، أن يسوع كان يروي الأمثال (انظر مت ١٣). وهذه أيضًا هي قصص الغرض منها تعليمنا حقائق لاهوتية. لكن ليس من الجوهري بالنسبة للحق الروحي للمثل أن تكون الأحداث المرتبطة به قد حدثت حقيقة تاريخية. فالحقائق المرتبطة بالأمثال تسمو على المسائل المختصة بتاريخيتها. وبنفس الطريقة، الأمر المهم تأكيده كتابيًا، هو الحق اللاهوتي الموجود في الأصحاحات الافتتاحية من سفر التكوين، وفي الحقيقة، في بقية الكتاب المقدس كله: وهو أن الله هو الخالق لجميع الأشياء. فعالمنا يجد منشأه عند الله، أما بالنسبة للوسيلة أو الطريقة التي قام بها الله بتنفيذ أغراضه الإلهية الخلاَّقة في صنع الكون وكل ما هو فيه، فليست معرفتها هي الهدف

الأساسي. إن الهدف الأساسي هو أن نرى ونؤمن أن وراء كل الأشياء «المرئية وغير المرئية» توجد القوة الخالقة للخالق الإلهي، الله.

توجد العديد من المفاهيم الضمنية التي تؤكد حقيقة أن الله هو خالق الكل. فمن ناحية، يعني هذا أن كل النظام المخلوق ينتمي لله. فنجد في كلمات كاتب المزمور أنه يقول: «للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها» (مز ٢٤: ١). وهكذا فإن كل بيئتنا الطبيعية تخص الله، فالعالم كما نعرفه، قد وجد قبل أن يأتي الإنسان إلى حيز الوجود بأزمنة بعيدة. وهكذا فإن العالم الطبيعي هو عالم الله، حيث أن الله هو خالقه. والبشر هم مخلوقات الله، حيث أن وجودنا في النهاية يعتمد كذلك على الله. فإننا نولد ونعطى نسمة حياة ونعيش أيام حياتنا، وخلال هذه الفترة تكون لدينا مسؤلية خاصة أن نكون وكلاء صالحين، للعالم الطبيعي. فعلينا أن نستخدم العالم بما يتفق مع أغراض الله ومقاصده – وهذا لأن الأرض وملؤها هي للرب. ونحن أنفسنا للرب، فالله هو رب الكل. لذلك فإن كل اتجاهاتنا نحو البيئة، ونحو كيفية استغلالنا لموارد الأرض، ونحو أسلوب حياتنا في علاقته بالطبيعة من حولنا – كل هذه الأشياء ترتبط بطريقة لاهوتية باقتناعنا بأن الله هو خالق جميع الأشياء. وهكذا فإن ما نفعله بخليقة الله هو مسئوليتنا، ولكن ما نفعله باعتبارنا مسيحيين – مسيحيين مشيخيين – يجب أن ينتج من يقيننا اللاهوتي بأن الله هو رب الكل، وهو خالق الكل.

أما التأكيد الثاني لله كخالق فهو أن الله قد خلقنا نحن أيضًا. فنحن كبشر يرجع أصلنا إلى الله. فقد خلق الله العالم، كما خلقنا نحن أيضًا. فالقصة الكتابية عن الخلق توضّح هذا الأمر تمامًا، فالبشر مدينون بنسمة الحياة التي فيهم لله،

الذي في رواية التكوين قام بنفخ نسمة حياة في آدم وحواء لكي يجعلهما كائنين بشريين (تك ٢: ٧). وهكذا فإن الإنسان هو قمة أعمال الله الإبداعية، ويرجع أصله إلى أعمال الله الخلاّقة. ومرة أخرى، فإن الرواية الكتابية لا تقل كيف فعل الله ذلك – وكيف جعل الله الإنسان حيًا، ولكن الكتاب المقدس يؤكد أن الله هو الذي أوجدنا وأن أصلنا يرجع إلى أعماله الخلاّقة. وإننا نؤكد أن كل حياة جديدة، وكل طفل يولد، وكل فرد منا، الله هو الذي قام بخلقه. إننا نعرف علم الأحياء الذي يشرح كيف تخلق الحياة، ونعرف العمليات الفسيولوچية للحمل والولادة، أي ما يطلق عليه «حقائق الحياة». ولكننا نعرف أيضًا كمسيحيين أن الجسد ليس هو البعد الوحيد، فهناك أيضًا بعد لاهوتي، وهذا هو ما نعنيه عندما نقول إن الله هو الذي خلقنا. إن والدينا قد أوجدانا، بدرجة ما. ولكن بالدرجة الأعظم والأهم، إننا نؤكد أننا قد خلقنا بواسطة قوة ومحبة الله الحي.

أما المضمون الثالث لله بكونه خالقًا فهو تأكيد أن الله هو سيد ومتسلط في الخليقة. فلا توجد قوى أخرى في الكون يمكنها أن تنافس قوة الله. يؤكد لنا تعليمنا المسيحي أن الله هو الذي خلق كل شيء «من العدم»، أي أنه لا يوجد هناك آلهة أخرى تنافس أو آلهة أخرى أقل من الله الحقيقي، فلا توجد آلهة أخرى لديها نفس القوة لكي تخلق، كما توجد لله الحي الحقيقي إله الكتاب المقدس. كما نؤمن كمسيحيين أنه قبل خلق العالم لم يكن هناك أحد سوى الله، فلم تكن هناك «أشياء» أخرى أو «مواد» أو أشخاص أو قوة أخرى – سوى الله وحده. إن الله الواحد الذي نعبده اليوم هو نفس الإله الموجود سرمديًا، والذي خلق كل الأشياء – المرئية وغير المرئية – من العدم. فقوة الله وفعله الخلاّق هو الذي أتى بجميع الأشياء إلى حيز الوجود. أما كيف حدث ذلك، مرة أخرى، فالكتاب المقدس لا يعرّفنا بذلك، ويجب ألا

نلجأ للكتاب المقدس متوقعين اكتشاف الإجابة. فالكتاب المقدس يخبرنا بأن الله هو الذي يخلق، وليس كيف يخلق، ولكن الله يخلق بالحق!

أدرك المشيخيون كذلك أن سيادة الله على الخليقة تعني أن إرادة الله الإلهية هي السلطة والغرض من وراء الكون، فلا توجد سلطة «أعلى» من سلطان إرادة الله. وهكذا تقف إرادة الله وراء خلق كل الأشياء.

إن تطبيق هذا الأمر على التجربة الإنسانية، هو أن جميع المخلوقات هي من الله، فهي تدين بوجودها لقوة الله الخلاّقة، كما تدين أيضًا بحياتها كلها لخالقها. ونحن لكوننا مخلوقات لله قد خلقنا لكي نطيع الله ولكي نعرف إرادته في كل أجزاء حياتنا. ولذلك فإن العلاقة بين الخالق وبين المخلوق هي أكثر العلاقات الأساسية والجوهرية التي يمكن أن نتخيلها من بين جميع العلاقات الأخرى. فإن كان الأمر كذلك، يجب أن يكون كل توجّهنا في الحياة، وكل أهدافنا ورغباتنا، أن نحب ونكرم ونطيع خالقنا. وهذه هي الرسالة التي يوصّلها الكتاب المقدس. إن أوامر الله لآدم وحواء في جنة عدن في رواية سفر التكوين، توضّح أن الله قد وفّر للزوجين كل شيء، وأن استجابتهما لإنعام الله عليهما كان يجب أن تكون هي طاعة الله والعيش في العلاقة التي كان الله ينوي أن تكون معهما كخالق ومخلوق. إن سيادة الله في الخليقة تبعد جميع السلطات والقوى الأخرى و«السادة» الآخرين إلى مرتبة ثانوية أدنى. فالبشر هم ملك لله، وفي النهاية فإن إرادة الله وأغراضه هي التي تعطي شكلاً ومعنى للحياة الإنسانية لأن الله هو خالقنا. فإذا فقد البشر رؤية هذه الحقيقة، فإنهم سيضلون طريقهم في العثور على وجود له هدف ومعنى.

وأخيرًا، فإن اعترافنا بالله كخالق يؤكّد لنا أن حياتنا لها معنى وهدف. فوجودنا

مؤصّل في الإرادة الإلهية، وحياتنا موطّدة في إرادة ذاك الذي خلق الكون وكل ما فيه. لقد خلقنا الله وخلق كل الأشياء لأجل أهداف إلهية معروفة له هو وحده. فالإله الذي خلقنا، كما سنرى، هو أيضًا الإله الذي يحبنا، والذي فدانا ودعانا إلى حياة الخدمة. وعندما نستجيب لله خالقنا بهذه الطرق، سنجد أننا نعيش الحياة في ملئها، إذ نحقق القصد الإلهي لخلقنا، وسنكون كل ما نستطيع أن نكونه لأن أهدافنا الخاصة ستكون متحدة مع أهداف ذاك الذي صنعنا وأعطانا نسمة الحياة. ولهذا ستجد حياتنا معناها الحقيقي وقيمتها الحقيقية فقط إن اتحدنا بأهداف خالقنا. فأن نعترف بالله كخالق، وأن نجد حياتنا الحقيقية في الحياة التي يدعونا الله إليها، هو أن نحيا الحياة كما قصدها الله. هذا هو أقصى تحقيق للذات وأعمق فرح حقيقي يمكننا أن نعرفه.

هذا هو اعترافنا المسيحي. فقد خلقنا الله، ويقول الكتاب المقدس إن الله رأى الخليقة وكل ما عمل وإذا هو «حسن جدًا» (تك ١: ٣١). وهذا هو ما نؤكّد عليه نحن أيضًا. لقد خلق الله جميع الأشياء، بما فيها نحن؛ وما قد خلقه الله هو بالحقيقة «حسن جدًا»!

أسئلة للمناقشة

-١ ما أهمية التأكيد على أن الله هو خالق «كل الأشياء ما يرى وما لا يرى»؟

-٢ ما الفارق بين أن نفسّر الأصحاحات الأولى من سفر التكوين بطريقة «حرفية» أم لا؟

-٣ لماذا يكون من المهم أن نؤكد على أن كل ما خلقه الله هو «حسن»؟

-٤ هل تعتقد أن المشيخيين يركزون تركيزًا كافيًا على الله الخالق؟ ولماذا؟

-٥ ما هي بعض المفاهيم الضمنية لعقيدة الخلق بالنسبة لحياتنا اليومية؟

(٤)
العناية الإلهية

إن الله السيد الذي خلق هو أيضًا الله الذي يقود. هذه هي العقيدة المسيحية عن العناية الإلهية. فبصورة عامة، يؤكد جميع المسيحيين أن الله يقود الكون والعالم والتاريخ البشري. وقد طوّر اللاهوتيون المشيخيون هذه النظرة بطريقة أكثر تفصيلاً مما فعل الكثيرون غيرهم. إن ما نريد أن نؤكد عليه هنا هو الرأي المثير للجدل، بأنه لا يوجد جزء من خليقة الله مستثنى من إرشاد الله وقيادته ورعايته الإلهية.

نواحي العناية الإلهية

رأى لاهوت الإصلاح عقيدة العناية الإلهية على أنها تتكون من ثلاثة نواحي: الله يحفظ الخليقة؛ والله يتعاون مع جميع المخلوقات؛ والله يقود كل الأشياء نحو تحقيق أغراضه النهائية. هذه ثلاثة طرق لوصف تداخل الله الشامل في كل النظام المخلوق ومع المخلوقات التي خلقها.

الحفظ: الله يحفظ الخليقة. إن كان الله قد أتى ببساطة بكل شيء إلى الوجود بفعل الخلق، ثم توقف، ماذا كان يمكن أن يحدث؟ الإجابة هي أن كل شيء تم خلقه سوف يتوقف عن الاستمرار في الوجود بسرعة. فلو لم تكن هناك قوة إلهية لكي تساند ما تم خلقه، لكان النظام المخلوق قد انهار إلى العدم.

لكن الله يحفظ الخليقة عن طريق عمله على استمرارها، فالله يستمر في ممارسة طاقته الإلهية لكي يتأكد من بقاء الخليقة وصيانتها ودعمها وحفظها، فيسود النظام ويمكن للحياة عندها أن تستمر في التطور لأن قوة الله الداعمة المساندة تمكّن العالم من الاستمرار في الوجود. إننا نثق أن العالم لن ينهار إلى العدم لأن قوة الله كلي القدرة تستمر في رعايته وحفظه. كما أن حياتنا لن تتهاوى ببساطة لأن نفس قوة الله موجودة لحفظنا. يعبّر كاتب المزمور عن هذا الأمر بمنتهى البساطة قائلاً: «أنا اضطجعت ونمت. استيقظت لأن الرب يعضدني» (مز ٣: ٥)، ياله من تفكير مريح!

التعاون: كما أن الله يتعاون مع جميع المخلوقات، فقوة الله تتعاون مع كل القوى الأقل في الكون. فقوانا البشرية تتعاون مع القوة الإلهية للحفاظ على الحياة وبقائها. الله يعمل معنا وفينا ومن خلالنا لكي يعمل ما يريد فعله في هذا العالم. فمن ناحية، نحن لا نتحرك بأنفسنا بمفردنا، لأن قوة الله تعمل فينا. ولكننا نتحرك بالفعل وبالحقيقة عن طريق استخدام القوى التي خلقها الله داخلنا لكي نستغلها. إننا نتصرف ونتحرك بحرية – وبحسب مشيئة كل منا الخاصة، فنقوم باتخاذ قراراتنا بأنفسنا، ونستمع إلى ما يمليه علينا «قلبنا» و«فكرنا»، وتقوم أيدينا بدورها في تنفيذ هذه القرارات. وهكذا فإننا نقوم بتحقيق رغباتنا، ولكننا في نفس الوقت، يمكننا أن نؤمن أن إرادتنا تتعاون مع إرادة الله لتحقيق أغراض الله الإلهية النهائية. فالله يعمل فينا ومن خلالنا لتحقيق الإرادة الإلهية بالتضامن مع إرادتنا. يتم التعبير عن هذه الحكمة في سفر الأمثال، حيث يقول الكاتب إن «قلب الإنسان يفكر في طريقه والرب يهدي خطوته» (أم ١٦: ٩).

إننا نتصرف ونتحرك بحرية – وحسب مشيئة كل منا الخاصة، ولكننا في نفس الوقت يمكننا أن نؤمن أن إرادتنا تتعاون مع إرادة الله لتحقيق أغراض الله الإلهية النهائية.

كيف تنجح كل هذه الأمور؟ إنه سر قد جادل فيه الفلاسفة واللاهوتيون على مدى قرون. إذ كيف يمكن للإله والإنسان أن يعملا معًا؟ بالنسبة للكثيرين من الناس لا يوجد تفسير مرضي أو منطقي لهذا الأمر، ولكننا – نحن المسيحيين – نعترف به. وإحدى «الطرق الإلهية المذهلة» لذلك هي أن يجعل حدوث كلا الأمرين ممكنًا. فالله سيد؛ والبشر أحرار في اتخاذ القرارات، والكتب المقدسة تشهد لكل من هاتين الناحيتين. ونحن باعتبارنا مسيحيين مشيخيين نؤكّد على هذا الأمر. فالله يعمل من خلال البشر، من خلال رغباتهم واختياراتهم، «كوسيلة» لتحقيق أغراض وأهداف الله الإلهية لأجل العالم وفي الحياة البشرية. وجزء من عناية الله الإلهية هو أن يتعاون معنا ومع جميع المخلوقات في الكون.

فالله يعمل داخل الكون ويعمل في عالمنا وفي التاريخ البشري – وفي حياتنا الفردية الخاصة – لكي يقود جميع الأشياء إلى أهداف وغايات الله النهائية.

الإرشاد: أما البعد الثالث لعناية الله فهي إرشاد الله. فالكون كله قد خلق بواسطة الله، والله هو الذي يحفظه ويبقيه، وهو الذي يعمل داخله. فالله يعمل داخل الكون، ويعمل في عالمنا وفي التاريخ البشري – وفي حياتنا الفردية الخاصة – لكي يقود جميع الأشياء إلى أهداف وغايات الله النهائية. الله يقود ويوجّه ويحقق الإرادة الإلهية لكي يقود جميع الأشياء إلى غاياتها النهائية. الله يعمل في الطبيعة، ويعمل في التاريخ. فليست عين الله فقط «على» التاريخ، ولكن يد الله أيضًا هي «في» التاريخ. يستخدم كاتب المزمور تعبير السلطة في العالم القديم لكي يعبر عن هذا الأمر قائلاً: «الرب في السماوات ثبّت كرسيه ومملكته على الكل تسود» (مز ١٠٣: ١٩).

يعمل الله في حياة كل كائن بشري لكي يقود ويرشد تلك الحياة بحسب مشيئته

الإلهية، وهذا هو الشعور «الحي» بالعناية الإلهية. لقد كان هذا الاقتناع مهمًا بصفة خاصة للمسيحيين المشيخيين، فقد حفّز المشيخيين لكي يكونوا نشطين بصفة خاصة في المجتمع، وهذا لأننا نؤمن بأن الله يعمل معنا في التاريخ لكي يحقق إرادته وأهدافه الإلهية. كما كان الشعور بقيادة الله لحياتنا له دائمًا أهمية شخصية عظيمة بالنسبة للشعب المشيخي أيضًا. اعتاد التطهريون المتشددون (البيوريتان) في القرن السابع عشر، كفعل من أفعال التكريس المسيحي، أن يحتفظوا في مذكراتهم اليومية بقصص عن «عناية الله»، فقد كانوا يرون يد الله تعمل في حياتهم وتقودهم، وتهتم حتى بأصغير تفاصيل وجودهم، تمامًا كما أوضح يسوع ذلك (انظر متى ١٠: ٢٩- ٣٠).

التعزيات والتحديات

في النهاية فإن هذا الاعتقاد بأن الله الذي يحفظ ويتعاون ويقود ويرشد هو إله ربنا يسوع المسيح، هو الذي يمكّننا من أن نثق في رعاية الله وعنايته الإلهية. إن أي نظام ديني، قد يؤمن مثلاً بأن هناك قوة خلقت العالم وتحفظه، وأن هذه القوة فعّالة في العالم، وتقود العالم إلى نهاية محددة. ولكن العقيدة المسيحية للعناية الإلهية هي عقيدة متفردة لأنها ترى أن الله الذي يحفظ ويتعاون ويقود ويرشد هو نفس الإله الذي هو «أبو ربنا يسوع المسيح» (٢كو ١: ٣)، بل في الحقيقة يمكننا أن نقول «الآب السرمدي لربنا يسوع المسيح»، حيث أننا نتحدث هنا عن الثالوث السرمدي للآب والابن والروح القدس.

كما سعى اللاهوتيون المسيحيون أيضًا لتمييز النظرة المسيحية للعناية الإلهية عن الاعتقاد الرواقي بالقدرية. والرواقيون هم فلاسفة قدماء كانوا يؤمنون أن الكون

يتكشّف بحسب «قوانين الطبيعة»، أو القدر الأعمى المبني في شخصية الكون نفسه، وهكذا فإن الأمور تحدث بصورة حتمية – فلا يمكن لأي عنصر بشري أن يصنع أي شيء بشأن الأحداث: «فالمقدّر حدوثه سوف يتم».

لكن المفهوم المشيخي للعناية الإلهية هو أن الشخص الذي يحفظ ويتعاون ويقود العالم، وهو أيضًا الشخص الذي خلق العالم ويشارك حياة اللاهوت السرمدي مع الروح القدس، هو أبو ربنا يسوع المسيح. هذا هو الإله الذي تم الإعلان عنه في الكتب المقدسة، والإله الذي يحب العالم في يسوع المسيح (يو ٣: ١٦). وهكذا فليس «القدر الأعمى» هو الذي يشكّل مصائر البشر والأشياء، بل ينظر المسيحيون بدلاً من ذلك إلى الإله الخيّر المعطاء الذي يستمر في الحفاظ على العالم والعناية به ويتعاون مع البشر المخلوقين، ويقود العالم نحو الغاية النهائية من التاريخ – وهي ملك الله وسيادته، «قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين» (رؤ ١١: ١٥).

إن إدراكنا بأن إله العناية الإلهية هو نفس الإله الذي أعلن في يسوع المسيح هو بعد مهم، عندما ندرك أن هذا الفهم لعناية الله الإلهية هو أمر معزّي كما أنه تحدي كذلك بالنسبة للمشيخيين.

التعزيات: خصّص چون كالڤن فصلاً كاملاً في كتابه «المبادىء» عن العناية الإلهية (المبادىء ١٧,١)، فكان مهتمًا بأن يتمكن المسيحيون المؤمنون من تطبيق هذه العقيدة لأكبر قدر من المنفعة لحياتهم. فإحسان الله وخيره وكرمه في العناية الإلهية، من وجهة نظر كالڤن، يحررنا من «كل هم وقلق». والنتيجة هي أن «امتنان العقل بسبب النتائج الإيجابية للأمور، والصبر في الشدائد، وأيضًا الحرية، التي لا يمكن

تصديقها، من القلق بشأن المستقبل، كل هذه الأمور تتبع بالضرورة هذه المعرفة» (المبادىء ٧,١٧,١). ففي كل من الأوقات الجيدة والسيئة في الحياة الإنسانية، يمكننا أن نثق في أن عناية الله تحفظنا وتعمل معنا وتقودنا. إن تعبير كالڤن هذا يشبه الإجابة على السؤال: «ما الفائدة التي نحصل عليها بمعرفتنا بخلق الله وعنايته؟» الموجودة في كتاب هايدلبيرج «Heidelberg» عن خلاصة العقيدة المسيحية (١٥٦٣)، والذي يعتبر واحد من أكثر كتب العقيدة تأثيرًا في الإيمان المصلح. والإجابة هي: «أن نتعلم أننا يجب أن نكون صبورين في الشدائد، وممتنين في وقت البركات، وأن نثق في إلهنا وأبينا الأمين بشأن المستقبل، واثقين بأنه لا توجد خليقة يمكنها أن تفصلنا عن محبته، حيث أن كل المخلوقات هي بين يديه بالكامل بحيث أنها بدون إرادته لا يمكنها حتى أن تتحرك» (العقائد ٤,٠٢٨). فالثقة القوية بأننا يمكن أن نثق في «إلهنا وأبينا الأمين بشأن المستقبل» تحفظنا وسط الصعوبات التي نواجهها في الحياة، كما تعطينا أيضًا يقين «أولاد الله» (رو ٨: ٢١) بأن نقبل بركات الله بامتنان.

التحديات: بجانب التعزيات تأتي التحديات. فعقيدة العناية الإلهية تثير في عقولنا أيضًا بعض الأسئلة المربكة: إن كان الله يقود ويرشد العالم وحياتنا، فلماذا يتواجد الشر في العالم؟ ولماذا يعاني الناس ويتألمون إن كان الله هو إله المحبة والرحمة، وإن كانت أهداف الله تتحقق في العالم؟ هذه القضايا هي جزء من التفكير والتأمل المسيحي في مرحلة معينة، ويمكنها أن تشكّل تحديات أمام إيماننا بعناية الله.

فالشر أمر واقع، كما يؤكد على هذا اللاهوت المسيحي دائمًا. والشر هو الذي يقاوم الله والإرادة الإلهية. فلماذا يتواجد الشر في العالم؟ إننا لا نعرف. فأصل

الشر هو لغز، فنحن لا نؤمن بأن الله «يرسل» الشر أو «يريد» الشر، حيث أن هذا مناقض لصفات الله الجوهرية من المحبة (١يو ٤: ٨، ١٦) والرحمة (مز ١١٦: ٥). لكن ما نؤمن به هو أن الله يمكنه أن يستخدم الشر، الذي هو جزء من عالمنا، ويتدخل في حياتنا من أجل الخير. فأهداف الله في العناية يمكن خدمتها إذ يعمل الله داخلنا ومن خلالنا لكي يحوّل الشر والألم وكل ما يعمل ضد إرادة الله لأجل تحقيق أهداف وغايات الله النهائية. ونرى مثالاً لذلك في اختبار يوسف في العهد القديم. فبعد أن باعه إخوته للعبودية في مصر، أصبح يوسف في النهاية في المكان الذي فيه، كشخص في موضع سلطان، وواجه إخوته الذين جاءوا إليه طلبًا للمساعدة. وإذ فكّر في الطرق التي تعامل بها إخوته معه، ثم فيما حدث معه منذ ذلك الحين، استطاع يوسف أن يؤكد قائلاً: «أنتم قصدتم لي شرًا وأما الله فقصد به خيرًا لكي يفعل كما اليوم. ليحي شعبًا كثيرًا» (تك ٥٠: ٢٠). لقد استطاع الله أن يعمل بواسطة الشر الذي قصده إخوة يوسف، وحوّله إلى خير في النهاية.

لا يمكننا ببساطة أن نطرد الشر على أنه بلا قيمة، أو أن نعتقد أن الألم في هذه الحياة هو أمر غير حقيقي أو شيء يمكن أن نعفى منه. ولكننا في وسط الشر – حتى شرور الإرهاب والحروب والمجاعات والكوارث والأمراض – نجد وعد الكتاب بأن الله معنا، وأنه من خلال وجود الله وعنايته المستمرة بنا، يمكن لله أن يأتي بالخير من الشر والألم، فالله لديه القوة والسلطان والرغبة في أن يفعل ذلك. هذا هو الإيمان الذي دفع الرسول بولس أن يؤكد قائلاً: «ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده» (رو ٨: ٢٨). فإرادة الله تنتصر في النهاية على الشر والألم. ولنا هذا اليقين في يسوع المسيح نفسه، الذي بقيامته جعل هذه النصرة أكيدة (أف ١: ٢٠-٢٣؛ كو ١: ١٥-٢٠). إن التحديات التي

تواجه الإيمان بعناية الله حقيقية، ولكن إيماننا مؤسس وموطّد في أن أهداف الله ستنتصر في النهاية (١كو ١٥: ٥٧؛ ١يو ٥: ٤). يؤمن المشيخيون بالعناية الإلهية ويؤكدون مع چون كالڤن على أن «الجهل بالعناية الإلهية هو قمة كل المَسي؛ وأن أعظم بركة تكمن في معرفتها» (المبادىء ١, ١٧, ١١).

كيف نستفيد من هذه العقيدة

الحفظ والتعاون والقيادة، هي أبعاد العناية الإلهية، وهكذا فإن عقيدة العناية الإلهية هي شديدة التعزية كما أنها تمثل تحديًا عظيمًا أيضًا. فهي تؤكد لنا أن عالمنا وحياتنا ممسكة بأمان في يد الله، فالله يحافظ على الخليقة وعلى وجودنا البشري. إنها تمثّل لنا تحديًا عندما نواجه الشر والألم، ولكنها تحفزنا أيضًا في كل الأوقات لكي نتعاون مع أهداف الله في هذا العالم، ولكي نعيش بحسب إرادة الله الإلهية، ولكي نسعى لطلب هذه الإرادة لحياتنا فوق كل إرادة أخرى. فإرادة الله وحدها هي خيرنا الكامل. في بعض الأحيان يكون من الصعب علينا أن نصدّق بذلك، ولكن إيماننا في العناية الإلهية يساعدنا على أن ندرك أن الله يقود حياتنا، ويوجّه ظروفنا وعلاقاتنا ومسار حياتنا. وهذا الأمر يعطينا اليقين المبارك بأن الله يعمل فينا وبيننا لكي يحقق الإرادة والخطة الإلهية، وهذا كفيل بأن يغمرنا بأعظم فرح وتعزية في حياتنا.

أسئلة للمناقشة

-١ هل تفكر دائمًا في العناية الإلهية على أنها جزء من اختبارك المسيحي؟ ولماذا؟

-٢ لماذا يكون من المهم أن ندرك جميع «نواحي العناية الإلهية» (الحفظ والتعاون والقيادة والإرشاد)؟

-٣ كيف تفهم العلاقة بين عناية الله والاختيارات الإنسانية؟

-٤ ما الأمثلة على عناية الله الإلهية التي يمكنك التعرّف عليها في حياتك الشخصية؟

-٥ ما هي التعزيات والتحديات الخاصة بالعناية الإلهية بالنسبة لحياتك المسيحية الشخصية؟

الجزء الثاني

المسيح الذي يخلّص بشرًا مثلنا

(٥)
البشـــرية

بين وقت وآخر، يسأل الأشخاص المفكرون أنفسهم هذا السؤال: من أنا؟ هذا سؤال يتعلق بالهوية، وهذا السؤال واحد من أكثر القضايا الأساسية التي يجب أن نتعامل معها كبشر. فنحن ندرك أنفسنا بكوننا بشرًا وجزءًا من الجنس البشري، مع ملايين لا تعد من البشر في كل أنحاء العالم، وهكذا فإننا نعرف أننا جزء من العائلة البشرية. ولكننا نسأل أنفسنا: ماذا يعني ذلك؟ ما معنى أن أكون جزءًا من الجنس البشري، أو أن أكون إنسانًا؟ ما معنى أن أكون الشخص الذي أنا عليه، الشخص المتفرد الذي أراه في المرآة كل يوم؟ من أنا؟ هذه قضية أساسية لأنها تؤثر علينا بصورة مباشرة. فإننا نحتاج أن نعرف ونفهم ما هي طبيعتنا، ومن نحن، بل حتى بصورة أوسع: لماذا خلقنا؟ وما هو هدف حياتنا؟

باعتبارنا مسيحيين، هذا السؤال مهم لنا أيضًا، لأن فهمنا للإيمان المسيحي يفترض بعض الحقائق اللاهوتية المعينة الخاصة بالبشر. ففي تقليدنا المشيخي، كانت هناك تأكيدات معينة سائدة، ومفاهيم لاهوتية معينة مهمة عن البشر. يشترك المشيخيون في بعض الآراء العامة مع جميع اللاهوتيين المسيحيين، كما في بعض المفاهيم المعينة التي نؤمن أنها تتفق مع تعاليم الكتاب المقدس.

خلقنا أشخاصًا مكتملين

توضّح الروايات الكتابية في سفر التكوين أن الله هو خالق جميع الأشياء، وأن الله هو خالق البشر. فالروايتان الخاصتان بالخلق في سفر التكوين اللتان تتعاملان مع خلق الإنسان (تك ١: ٢٦-٣١؛ تك ٢: ٧-٢٥) تنسب كلاهما خلق الإنسان إلى نسمة الله (تك ٢: ٧) وإلى قوة الله (تك ١: ٢٧). فقوة الله الخلاّقة في الإتيان بنا – نحن البشر – إلى الوجود يمكن أن نتعرف عليها وندركها في كل أجزاء الكتاب المقدس (مز ٨؛ مز ١٠٠: ٣؛ مل ٢: ١٠).

تستخدم الروايات الكتابية مصطلحات معينة لكي تصف بنية وتركيب البشر، والجسد والنفس والروح هي التعبيرات الأكثر شيوعًا، ولكننا نواجه أيضًا مصطلحات أخرى مثل الجسم والقلب والعقل والضمير. كثيرًا ما تستخدم هذه الكلمات كنوع من الاختزال للإشارة إلى الشخص بأكمله. فيؤكد الكتاب المقدس على أنه يرى الإنسان ككائن «جسدي» كما يراه على أنه كائن «روحي»، بمعنى أنه رغم أننا كائنات جسدية، إلا أننا أكثر من مجرد ذلك، فلدينا في أنفسنا («شخصيات» كما يمكن أن نقول) قادرة على التعبير عن المشاعر والاختيارات والتصرفات والأفعال وعلى الارتباط بأشخاص آخرين. وكيفية اختيارنا لاستخدام هذه النواحي في أنفسنا يعتبر أمر شديد الأهمية في الكتاب المقدس، كما يعتبر كذلك أيضًا بالنسبة لله الذي خلقنا.

إنه خلق أشخاصًا مكتملين وأن الله يهتم بوجودنا بأكمله.

إن البشر هم أشخاص مركّبون. ونحن نعرف ذلك الآن من خلال خبرتنا الشخصية، بطرق شديدة الاختلاف وأكثر عمقًا، مما كان يراه من كتبوا الكتاب المقدس. ولكن المفاهيم الكتابية الخاصة بهويتنا لا تزال تتحدث

إلينا بقوة. إننا مخلوقون أشخاصًا مكتملين وأن الله يهتم بوجودنا بأكمله. يتم التعبير عن هذا الأمر بوضوح في ملخص الناموس العبري الذي عبّر عنه يسوع، والذي كان يردد صدى الوصية العظمى التي أعطاها الله لإسرائيل (تث ٦: ٥). فقد قال يسوع إن الطريق للحياة الحقيقية أو الحياة الأبدية – والتي هي هدف خلق الله لنا – هي أن «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك» (لو ١٠: ٢٧). يريدنا الله أن نكرس أنفسنا بالكامل لمحبة لله. فالله قد خلق الشخص بأكمله، والشخص بأكمله «هو ملك» لله، ويتوقع منا أن نحب الله بكل ما في داخلنا وكل ما يكوننا. فالله يريد التزام وتكريس شامل من الشخص بأكمله.

كما أن الله يهتم بحياتنا ككل، وهكذا فإن الله يهتم بحياتنا في كل ملئها. فلا توجد مناطق أو نواحي في وجودنا لا يهتم بها الله. فقد كان أنبياء العهد القديم يصرخون إلى الله طلبًا لعدل ولبر الله لكي يسود في مجتمعاتهم، العدل والبر الذي يرتبط بحياة الناس اليومية (إش ٢٨: ١٧؛ ٦١: ٨؛ عا ٥: ١٥، ٢٤؛ مي ٦: ٨). فالله يهتم بالجوع (مز ١٠٧: ٩؛ مت ٢٥: ٣٥)، بل وحتى بنومنا (مز ٣: ٥، ٤: ٨)! وبالطبع، يهتم الله باتجاهات البشر الآخرين وبأفعالهم ومشاعرهم وأفكارهم وكلامهم (أم ٨: ١٣؛ مز ٣٤: ١٤؛ ١٣٩: ٢٣؛ أم ١٢: ٦).

كل هذا يقودنا لكي ندرك أننا البشر قد خلقنا الله أشخاصًا مكتملين، أشخاصًا يهتم بهم الله بالكامل. وهذه بركة أن نكون بشرًا، فلا توجد مشكلة، أو قضية، أو صعوبة في أية منطقة من مناطق حياتنا لا يهتم بها الله. فصحتنا وعائلاتنا ومجتمعاتنا وبلادنا – جميعها تهم الله. كما أن اتجاهاتنا وعقولنا وقلوبنا – هي

أيضًا تهم الله. فإن كنا نرغب في أن نعكس صورة الله في حياتنا اليومية، يجب أن تكون لنا اهتمامات مماثلة بحياة الآخرين، فنهتم بهم بطريقة شاملة كذلك. فيجب ألا نعتقد أن علينا أن نتعامل فقط مع «الموضوعات والنواحي الروحية» فيهم، بل نسعى لخير الآخرين في كل أبعاد وجودهم. وحيث أننا قد خلقنا أشخاصًا مكتملين، يجب أن نعتني بالآخرين ككل وفي كل نواحي حياتهم، تمامًا كما يهتم الله بكل أبعاد حياتنا باعتبارنا بشرًا.

صورة الله

إن خلقتنا بواسطة الله تتميز كذلك ببعد أكبر. فالاعتقاد الأساسي الذي نشترك فيه مع جميع المسيحيين هو أننا كبشر قد خلقنا على صورة الله. تصف روايات الخلق في سفر التكوين، بطرق مختلفة، أن الله خلق الإنسان. ويوضح تكوين ١: ٢٦-٢٧ أن البشر قد خلقوا على «صورة» الله «كشبهه». يقودنا هذا الأمر لاهوتيًا إلى حقيقة شديدة الأهمية. فنحن المسيحيين نؤمن أننا لا نستطيع أن نفهم من نحن بدون أن ندرك أننا خليقة الله. لقد خلقنا الله، خلقنا على صورته، وهذا يعني أن وجودنا الإنساني مرتبط بالله بطريقة لا يمكن تناسيها. فنحن نعيش، في نوع من العلاقة بيننا وبين خالقنا. أما من ناحية ماهية هذه العلاقة – فتلك هي المسألة، ولكننا مرتبطون بالفعل بالله. إننا نواجه الكثير من الطرق المختلفة للنظر إلى البشر، فهناك مناهج العلوم الاجتماعية، مثل علم النفس أو علم الاجتماع أو علم الأجناس البشرية. وهذه المناهج تنظر للبشر من أبعاد مختلفة – فتبحث في نفسياتهم، وعلاقاتهم الاجتماعية، وعاداتهم الثقافية وغيرها. لكن هذه الأنظمة لا تستطيع أن توضّح لنا الصورة بأكملها الخاصة بهوية البشر. فلا تستطيع أيًا منها أن تكشف

ملء هويتنا بالكامل، كما لا يمكن لهذه الأنظمة أن تعطينا ما نعتبره نحن المسيحيون أهم بعد في الإنسانية: وهو حقيقة أننا البشر مرتبطون بالله، فحيث أن الله هو خالقنا ولأننا مخلوقون على صورة الله، لذلك فنحن مرتبطون بالله. هذه أسلسًا تعتبر أهم حقيقة في وجودنا. إننا لا نستطيع أن نفكر في أنفسنا – أو في البشرية ككل – بعيدًا عن هذا الاعتقاد الأساسي: فإننا مخلوقون بواسطة الله، ومخلوقون على صورته. وإن كان الأمر كذلك، فإن جميع علوم الأجناس البشرية يجب أن تكون «علومًا لاهوتية». أي أننا، من منظور الإيمان المسيحي، يجب أن نرى أنفسنا في ضوء علاقتنا الأساسية بخالقنا. إن العلوم الاجتماعية تقدم لنا مفاهيم قيّمة ومهمة لأبعاد الوجود الإنساني، ولكن معتقدنا الأساسي هو معتقدنا اللاهوتي.

لقد خلقنا على «صورة الله». هذا التعبير رغم أنه مهم في اللاهوت المسيحي، إلا أنه قد تم تفسيره بعدة طرق مختلفة. فما معنى أن نقول إننا مخلوقون على صورة الله؟ فمن أية نواحي يمكن أن نقول إننا نشبه الله؟ ومن أية نواحي نختلف عن الله؟

إحدى الطرق لفهم البشر على أنهم مخلوقون على الصورة الإلهية هي أن نفكر في البشر على أنهم «حاملون للصورة اللإلهية»، بكلمات أخرى، بما أنهم قد خلقوا بواسطة الله، فإنهم يجب أن يمثّلوا الله أو أن يحملوا صورة الله للآخرين. فعلينا أن «نعكس صورة الله» للآخرين. في العصور القديمة، كان الامبراطور الذي يحكم مملكة ما لا يمكنه أن يتواجد في كل مكان أو في كل منطقة موجودة تحت حكمه، ولذلك فقد كان

بما أنهم قد خلقوا بواسطة الله، فإنهم يجب أن يمثّلوا الله أو أن يحملوا صورة الله للآخرين. فعلينا أن «نعكس صورة الله» للآخرين.

يقوم بصنع تماثيل له في أماكن مختلفة. فكانت هذه التماثيل تذكّر كل إنسان يراها بأن الامبراطور هو الحاكم. كانت هذه التماثيل تحمل «صورة» الامبراطور، وبذلك كانت تمثّل الامبراطور في كل أنحاء امبراطورية.

بنفس الطريقة، فإن البشر المخلوقين على صورة الله يجب أن «يمثّلوا» الله – الحاكم – في كل مكان وفي كل علاقة. فعندما يلتقي بنا الناس يجب أن يروا الله يحيا فينا، فنحن ممثلي الله في كل أنحاء العالم. لقد خلقنا على صورة الله لكي نكون عيني الله وأذنيه ويديه في كل بقاع الأرض، فقد خلقنا على صورة الله لكي «نعكس» الله للآخرين.

ومن ناحية أخرى، إن كنا قد خلقنا بحسب الصورة الإلهية، فإن علينا أن نتعرف على تلك الصورة في كل إنسان آخر. فيجب علينا أن نتعرف على الناس على أكثر المستويات الأساسية، ليس على أساس نوعهم أو جنسهم أو حالتهم الاقتصادية، لكن على أساس أنهم رفقاؤنا في الخليقة، مخلوقون على صورة الله. فإننا نتحد مع البشر الآخرين في كل العالم بواسطة هذه الرابطة الأساسية، فنتحد على أساس إنسانيتنا المشتركة بكوننا بشرًا مخلوقين على صورة الله. هذا هو معتقدنا المحوري الأساسي الخاص بهويتنا كبشر، وهوية الآخرين: فنحن جميعًا مخلوقات الله، نحمل الصورة والشبه الإلهيين. إننا بالطبع مختلفون، فالبشر متفردون ومتميزون، وكل منا يختلف عن الآخر. ومع ذلك فجميعنا متشابهون أيضًا، ووجه الشبه بيننا هو أننا جميعًا حاملون للصورة الإلهية.

لكن ما أهمية أن نكون مخلوقين على صورة الله؟ لاهوتيًا، يعني خلقنا على صورة الله أننا بشرًا لنا وضع ومقام خلصّان أمام الله. يقف البشر متفردون دون

بقية عناصر خليقة الله الأخرى من حيث أنهم قد أخذوا من الله نسمة الحياة، وأنهم قد خلقوا لكي تكون لهم علاقة متميزة مع الله لا يشترك معهم فيها أي من المخلوقات الأخرى. فالبشر عليهم أن يكونوا وكلاء الله على الأرض، وأن يديروا مواردها، نيابة عن الله. فالبشر هم ممثلو الله على الأرض وعليهم أن يعكسوا للنظام المخلوق طبيعة الله، خالق كل الأشياء. وبهذا المعنى، يكون البشر في علاقة شراكة مع الله، فيستخدمون الحرية التي يمنحها لهم الله لكي يتحدوا مع أغراض الله لهذا العالم.

لاهوتيًا، يعني خلقنا على صورة الله أيضًا أننا البشر علينا أن نحب الله باعتباره خالقنا. فعلينا أن نطيع الله لأنه هو ربنا وسيدنا وهو ملكنا وخالقنا، وأن نحبه ونعيش في علاقة مميزة معه كما قصد الله ذلك. يجب أن نطيع الله ونعيش بحسب إرادة الله وأهدافه لأجل حياتنا. فنحن بكوننا بشرًا مخلقون على صورة الله، نعتمد على الله في كل شيء، فنتطلع إليه طلبًا لإرشاد حياتنا. إننا نعكس صورة الله للآخرين، فكوننا مخلوقين على صورة الله هو أكثر الأمور الأساسية التي يمكن أن تقال عنا. فنحن نحب الله، ونطيع الله، ونعتمد على الله – لأن الله قد خلقنا في هذه العلاقة، فنحن مخلوقون على صورة الله.

لكن الأكثر من ذلك، فإن كوننا مخلوقين على صورة الله يعني أن ندرك أن البشر مخلوقون للشركة، فنحن مخلوقون للشركة مع الله وللشركة مع بعضنا البعض. يعبر أحد اعترافات إيماننا المشيخي، وهو إقرار إيمان مختصر (١٩٩١)، عن هذه الفكرة بالآتي:

بسيادة المحبة خلق الله العالم حسنًا

وجعل كل إنسان بالتساوي على صورة الله،

ذكرًا وأنثى، من كل جنس وشعب،

لكي يعيشوا معًا كجماعة واحدة. (العقائد ١٠,٣)

لقد خلق الله عائلة بشرية، فلم يخلق الله شخصًا واحدًا ثم تخلى عنه وتركه وحيدًا، ولكن روايات سفر التكوين توضّح كيف كان الله يقصد ويرغب في أن يكون البشر في علاقة مع بعضهم البعض. تمامًا مثلما توضّح لنا عقيدة الثالوث تفاعل العلاقة المتبادلة بين أقانيم الثالوث، كذلك توضح لنا عقيدة صورة الله الرغبة الإلهية في أن يعيش البشر في علاقات متبادلة مع أحدهم الآخر. فالمحبة التي أظهرها الله في خلقه للبشر يجب أن يشاركها البشر مع بعضهم البعض. فعبر تاريخهم البشري كله، هذه المحبة التي يشاركونها معًا هي القصد الإلهي للبشر.

أسئلة للمناقشة

-١ هل تقضي وقتًا كبيرًا في التفكير: «من أنا»؟ ولماذا؟

-٢ لماذا يكون من المهم أن تكون لدينا «نظرة لاهوتية» للبشرية؟

-٣ ما الفارق في رؤيتك للآخرين، عندما تراهم على أنهم مخلوقون «على صورة الله»؟

-٤ ما هي بعض المفاهيم العملية التي يتضمنها القول بأننا مخلوقون «على صورة الله»؟

-٥ بأية طرق تقوم أنت «بتمثيل الله» في حياتك اليومية؟ وكيف يمكن للكنيسة أن تقوم بذلك؟

(٦)
الخطيـــــة

رغم أن البشر مخلوقون على صورة الله، إلا أن الكتاب المقدس عامة واللاهوت المشيخي بوجه خاص يدركان أن علاقة المحبة التي خلق البشر لكي يشاركوها مع الله ومع بعضهم البعض قد انقطعت وانفصلت، وهذا الانفصال يطلق عليه «الخطية». ففي كل أنحاء الكتاب المقدس، يتضح أن البشر لم يعودوا كما خلقهم الله. فالشركة بين البشر قد اضطربت، كما انقطعت كذلك علاقة البشر بخالقهم. فالخطية هي حقيقة في الوجود الإنساني غيرت بصورة جذرية العلاقة التي خلق البشر لكي يشاركوها مع الله ومع بعضهم البعض. وهكذا فإننا البشر، نحن خطاة.

هذا هو تناقض التجربة البشرية. فقد خلق البشر كتتويج لخليقة الله – على أنهم المخلوقات التي تتمتع بوضع خاص أمام الله وبعلاقة خاصة مع الله. ولكن الآن، انزلق البشر إلى وضع آخر، وهذا الوضع هو علاقة مع الله لا تميزها المحبة، كما كان يقصد الله، ولكن تميزها الأنانية والكبرياء ورفض الاعتراف بأن الله هو الرب وهو الخالق الذي ينظم كل الحياة البشرية. إن خطية البشر هي تعبير عن الشر الموجود في الكون. فالشر هو كل ما يقف مناقضًا ومقاومًا لله ولإرادته. ونحن البشر خطاة نشارك في هذا الشر.

إن خطية البشر هي تعبير عن الشر الموجود في الكون.

لقد ركّز المشيخيون بقوة على عقيدة الخطية، وهذا لأننا نؤمن أن الكتاب المقدس يتعامل مع الخطية بمنتهى الجدية. بل الحقيقة أن المرء يمكن أن يقول إن الخطية هي أخطر الحقائق وأكثرها جدية في التجربة البشرية.

ينظر اللاهوت المشيخي إلى البشر على أنهم خطاة بالطبيعة. وأن نقول إننا خطاة بالطبيعة فهذا يعني أننا إن تركنا بمفردنا كما نحن، فإننا سنتصرف دائمًا بحسب هويتنا، أو بحسب طبيعتنا، وطبيعتنا هي أننا خطاة. فنحن نخطىء، ونفعل ما هو شر في نظر الله، وهكذا فإن تركنا لأنفسنا فإننا سنظل خطاة دائمًا، وسنختار أن نسلك دائمًا في طرقنا الخاصة بدلاً من أن نسلك في طرق الله. وسنسعى دائمًا لمصلحتنا الشخصية بدلاً من أن نطلب إرادة الله أو خير الآخرين. كما ستعبّر دائمًا أفعالنا الخارجية عن طبيعتنا الداخلية، وطبيعتنا هي أننا عصاة ومتمردون على إرادة الله ونسعى لعمل مشيئتنا الخاصة بدلاً من مشيئته.

صور الخطية

هناك عدد من الطرق المألوفة التي يصوّر بها الكتاب المقدس الخطية. فالخطية هي الذنب والتعدي والتمرد أو هي عدم إصابة الهدف: الخطية هي الفوضى والجهل والكبرياء، وهي إهانة موجهة ضد الله. كل هذه التسميات هي صور ذكرها الكتاب المقدس للخطية، وهي تشير إلى الرسالة الأساسية المتعلقة بالخطية: وهي أن الخطية هي كل ما نفعله ضد الله، كل ما نفعله ضد أهداف الله ومقاصده. إن الخطايا هي الأفعال التي نقوم بها، فعندما نقاوم الله وإرادته، فإننا نخطىء. ويمكن لهذه الخطية أن تأخذ أي عدد من الأشكال في حياتنا. وواحد من أكثر الأشكال الأساسية لها هي ما يطلق عليه الكتاب المقدس عبادة الأوثان. فعبادة الأوثان هي اتجاهنا

الأساسي بأن نعبد أو أن نضع قيمة فائقة لأمور غير الله. وهكذا فإننا عندما نعبد أي شيء أو أي شخص غير الله الحي، فإننا نكون مذنبين بخطية عبادة الأوثان. فعبادة الأوثان هي عبادة كل ما هو أقل من الله، أو الأمور التي نختار أن نستثمر مجهوداتنا وقيمنا فيها، وهكذا فإن الخطية هي ما نفعله.

إننا نخطىء بصورة فردية وبصورة جماعية، كجماعات من البشر في المجتمع. تأخذ الخطية الكثير من الأشكال الماكرة في المجتمع، مثل العنف والعنصرية والتحيز ضد المرأة والقمع والاضطهاد. إن التاريخ المحزن للعنف البشري المتمثل في حروب البلاد ضد بعضها، إذ يشتعل العنف، وإذ يحرم البشر من الكرامة والحقوق الإنسانية، وإذ يتم تدمير بيئتنا، هي من الأمور المؤلمة التي تذكّرنا ببعض الطرق التي يتم بها التعبير الجماعي المشترك عن الخطية. فإن كنا نريد دليلاً على أن الجنس البشري بأكمله خاطىء، فإننا لن نحتاج إلا لأن نلقي نظرة على الصحف اليومية في أي يوم من الأيام! إن أنظمة المجتمع ومؤسساته والقوى الراسخة فيه هي ساحات تسكنها الخطية. فعلى الرغم من المظاهر الخارجية للنظام والمسئولية، إلا أن قوة الخطية تستقر في كل أنحاء حتى أفضل مؤسساتنا حسنًا للنوايا. وما نفعله كجماعة يعكس ما نحن عليه شخصيًا، فما نفعله يكون خاطئًا عندما تتعدى أفعالنا الجماعية على إرادة الله ومقاصده.

ومع ذلك فإن اللاهوت المشيخي قد شدد أيضًا على أن الخطية ليست فقط عبارة عن أفعال، لكن الخطية هي حالة أو وضع خاطىء كذلك. وفي الحقيقة أن هذه الحالة هي سبب أفعالنا الخاطئة. فإننا نقوم بأمور خاطئة لأننا بالطبيعة أناس خاطئون. فحالتنا الطبيعية كبشر هي حالة الخطية، وجميعنا شاركنا في هذا الوضع، فكلنا

خطاة في نظر الله. كما يعبّر الرسول بولس عن هذا الأمر بقوله: «وأعوزهم مجد الله» (رو ٣: ٢٣). وهكذا فإن تركنا لأنفسنا فإننا سنختار دائمًا أن نفعل الأمور الخاطئة. لماذا؟ إننا نفعل الخطية لأن حالتنا أو طبيعتنا كبشر هي خاطئة.

الخطية الأصلية

إنها صورة قاتمة وكئيبة، أليس كذلك؟ فنحن خطاة، كما نؤمن بذلك، بل الأكثر من ذلك أننا خطاة بالطبيعة – أي أن الخطية هي حالتنا الطبيعية أمام الله. لقد رأى لاهوت الإصلاح أن حالتنا الخاطئة نشأت مما يطلق عليه اللاهوتيون «الخطية الأصلية». تشير «الخطية الأصلية» للاعتقاد بأننا جميعًا – أي الجنس البشري بأكمله – خطاة في أصلنا. فإننا جزء من الجنس البشري – الجنس البشري الذي اختار دائمًا أن يذهب في طرقه الخاصة بدلاً من طرق الله؛ الذي أخطأ في جوهر كياننا. بحسب التقليد، ترتبط الخطية الأصلية بالرواية الكتابية عن آدم وحواء في سفر التكوين. فنذكر في تكوين ٣ قصة أكل آدم وحواء من ثمر الشجرة المحرمة بعد أن جربهما الشيطان. فأكلا منها – وعندها انكسرت شركتهما مع الله. وقد انكسرت هذه الشركة لأنهما فعلا ما أمرهما الله ألا يفعلاه. وهكذا فقد عصيا الله، ولكنهما بعد ذلك تحملا عواقب هذا الأمر. فقد طردا من جنة عدن، وفقدا علاقتهما الرائعة الكاملة مع الله التي استمتعا بها حتى تلك اللحظة. فبغض النظر عن تفسيرك لرواية خطية آدم وحواء – سواء ستفسرها حرفيًا أو رمزيًا – فإن الحق اللاهوتي يبقى كما هو، وهو أن البشرية قد ابتعدت وانفصلت عن الله، قد عصت الله، وتمردت عليه، وكسرت العلاقة البشرية/الإلهية. وهكذا نجد أنفسنا بعيدين أو منفصلين عن الله.

لقد ناقش اللاهوتيون كيف يمكن لفعل تم منذ القديم – مهما كان زمان حدوثه

– أن ينتقل إلى من يولدون بعده بآلاف السنين. الفكر الأكثر شيوعًا في التقليد المشيخي هو أننا خطاة بالطبيعة لأن جدنا الأول – أيًا كان – قد أخطأ، وهكذا فإن الخطية تصوّرت فينا. فإننا في تضامن بشري أحدنا مع الآخر يمتد منذ أصول جنسنا، وفي هذا التضامن فإن ما يفعله الفرد يؤثر على الآخرين جميعًا.

فالخطية هي حالتنا الطبيعية وهي طبيعتنا لذلك فإننا إن تركنا لأنفسنا فإننا سنرفض الله، وندير ظهورنا لمشيئة الله وطرق الله لحياتنا.

وفي أصولنا كجنس بشري، دخلت الخطية إلى وجودنا، وهذه الخطية لا تزال موجودة معنا حتى اليوم. وحيث أنها موجودة معنا اليوم، فإننا جميعًا خطاة بالطبيعة، كما أننا نتصرف بموجب هويتنا الخاطئة. فالخطية هي حالتنا الطبيعية، وهي طبيعتنا. لذلك فإننا إن تركنا لأنفسنا فإننا سنرفض الله، وندير ظهورنا لمشيئة الله وطرق الله لحياتنا، فنظّل نعمل الأمور بطريقتنا الخاصة بدلاً من أن نعرف مقاصد الله لنا. إن هذا التمرد والفوضى، وهذا الابتعاد عن الله هو حالة الخطية التي نجد أنفسنا فيها.

إن نتائج حالتنا الطبيعية كخطاة هي نتائج درامية، فقد رأى اللاهوت المصلح الخطية على أنها تؤثر بصورة جذرية على الإنسان بأكمله. يطلق على هذا الأمر أحيانًا كلمة «الفساد الكامل»، لكن هذا لا يعني أن البشر هم أشرار بصورة مطلقة حيث أنهم فاسدون بمعنى أنهم مملوؤن بالشر تمامًا، ولكنه يعني أن حالتنا الخاطئة تؤثر على وجودنا بأكمله، فلا توجد منطقة أو ساحة من ساحات خبرتنا البشرية معفاة من آثار الخطية.

فمن إحدى النواحي، تأثرت أذهاننا. فإننا لا نستخدم قوانا الفكرية والمنطقية

لمحاولة تأكيد فكر الله ومشيئته لحياتنا. ولكننا بدلاً من ذلك، نستخدم قوانا الذهنية لتبرير أفعالنا ولإقناع أنفسنا بأن الحياة بحسب رغباتنا الخاصة بدلاً من رغبات الله ليست سيئة. كما أن علاقاتنا أيضًا قد تأثرت. فإننا نستخدم شخصياتنا لكي نطوّر أنفسنا، ونسعى دائمًا لتحقيق مصالحنا الخاصة فقط بدلاً من الاهتمام بالآخرين، طالبين أولاً خيرنا الشخصي بدلاً من خير الآخرين. إن مجتمعنا البشري، الذي خلقنا الله لأجله وجعلنا على صورته الإلهية – هذا المجتمع قد حطمته الخطية.

ثم أن إرادتنا أيضًا قد تأثرت وفسدت بالخطية. توجد نقطة لاهوتية مفتاحية كان حولها الكثير من المناقشات والجدل اللاهوتي، وهي، ما مدى قوة الرغبة في الخير التي يمتلكها الإنسان الخاطىء؟ وهل يمكن للبشر بمجرد «الرغبة» في فعل الخير، أن يحققوا مشيئة الله؟ هل تأثرت الإرادة بشدة بواسطة الخطية بحيث أنها تميل دائمًا لطريق الشر والأنانية؟ وهل تستطيع الإرادة البشرية الخاطئة أن تستجيب لكلمة الله أو لنعمة الله؟ كانت وجهة نظر المصلحين في هذه النقاشات دائمًا إلى جانب إدراك عبودية الإرادة البشرية بالكامل لسلطة الخطية. فإننا لو تركنا لأنفسنا، فإن إرادتنا الشخصية لن تميل مطلقًا لقبول كلمة الله أو نعمة الله لأننا محكومون بالكامل وبقوة في قبضة سلطان الخطية. وبهذا المعنى، فإنه ليست لدينا «إرادة حرة». كما كتب هنريك بولينجر Heinrich Bullinger في كتاب عقائد إيمان هيلڤيتيك الثاني Second Helvetic، «فيما يختص بالخير والفضيلة، فإن منطقنا البشري لا يحكم حكمًا صائبًا من تلقاء نفسه في الأمور الإلهية. وذلك لأن البشر الذين «لم يولدوا ثانية» ليست لديهم إرادة حرة للخير، ولا قوة للقيام بما هو خير وصلاح» (العقائد ٥,٠٤٥، نقلاً عن يو ٨: ٣٤، رو ٨: ٧). فالخطية تجعلنا نميل نحو أنفسنا بدلاً من أن نميل نحو الله – كخالقنا وربنا وكالشخص الذي ندين له بالولاء والطاعة. لقد تحولنا وابتعدنا

عن محبة الله لصالح محبتنا لأنفسنا؛ فقد «أخطأنا الهدف» – فشلنا في أن نكون الأشخاص الذين يريدهم الله ويدعوهم أن يكونوا.

نتائج الخطية

كانت نتيجة الخطية هي أننا كبشر قد انفصلنا عن الله. فقد فشلنا في أن نعيش بحسب قوانين الله، أو أن نعيش نوع الحياة التي يردنا الله أن نحياها. وهكذا فإن موقفنا هو أننا بأنفسنا لا نستطيع أن نفعل أي شيء تجاه هذا الأمر. فنحن لا نستطيع أن نفعل أي شيء لكي نغيّر أنفسنا – وهذا لأننا في الحقيقة لا نريد أن نفعل ذلك. إننا خطاة، وكخطاة فإننا نتصرف بموجب طبيعتنا، وهذه الطبيعة هي طبيعة قد صارت ضد الله وضد إرادته في حياتنا. إننا نخطىء بالطبيعة وباختيارنا الشخصي، وحيث أن اختياراتنا هي تعبير عن طبيعتنا، فإن اختياراتنا ستكون خاطئة. إننا لا نستطيع أن نغيّر طبيعتنا بأنفسنا، وهذه هي الآثار الخطيرة للخطية، بحسب التقليد المصلح. فنحن لدينا طبيعة خاطئة لا نستطيع أن نغيرها بأنفسنا على الإطلاق.

هذه هي حالتنا الخاطئة، وهي عجزنا الكامل عن أن نرفع أنفسنا لأعلى بواسطة مجهوداتنا الشخصية أو أن نخلص أنفسنا من هذه الحالة. كما أننا لا نستطيع أن نعيد إقامة العلاقة مع الله بأنفسنا. لا يمكننا بصورة معجزية أن نغيّر أنفسنا فجأة لكي نصبح «قديسين» بدلاً من خطاة. بكلمات أخرى، إننا نحتاج نوعًا من القوة أو شخصًا ما يمكنه أن يصنع لنا ما لا نستطيع نحن أن نصنعه لأنفسنا. باختصار، إننا نحتاج مخلصًا، مخلص يستطيع أن يغيّر حالتنا وموقفنا. نحتاج مخلصًا يمكنه أن يعيد إقامة العلاقة التي يريدها الله معنا كبشر. كما نحتاج إلى

شخص يمكنه أيضًا أن يتعامل مع حقيقة أن خطيتنا تنتج داخلنا شعورًا بالذنب، وهكذا فإننا نقف أمام الله مذنبين بسبب ما نحن عليه وبسبب ما نفعله. نحتاج إلى شخص يستطيع أن يجدد حياتنا. وفي النهاية، نحتاج إلى شخص يمكنه أن ينقذنا من الموت الذي تنتجه خطيتنا. فإننا بحسب فكر الكتاب المقدس، نموت لأننا خطاة. كما يقول الرسول بولس «لأن أجرة الخطية هي موت» (رو ٦: ٢٣). لذلك فإننا نحتاج إلى شخص يمكنه أن يأتي إلينا في حالتنا الخاطئة ويفعل لأجلنا ما لا نستطيع فعله لأنفسنا – باختصار أن يخلصنا.

أسـئلة للمناقشـة

-١ ما الدلائل التي تراها على أن الخطية تؤثر في جميع نواحي حياتنا الإنسانية؟

-٢ بأية طرق تعبّر خطية «عبادة الأوثان» عن نفسها اليوم؟

-٣ ما هي نتائج تأثر «إرادتنا» بقوة بالخطية؟

-٤ هل تعتقد أن المشيخيين يركزون بصورة كافية على الخطية اليوم؟ ولماذا؟

-٥ ما هي آثار الخطية التي تراها في المجتمع؟ وفي الكنيسة؟ وفي حياتك الشخصية؟

(٧)
المسـيح

في وسط كل هذه «الأخبار السيئة» عن الحالة البشرية، يعلن الإيمان المسيحي واللاهوت المشيخي كذلك «الأخبار السارة». والأخبار السارة هي أن الله قد نظر إلى حالتنا وتصرف نيابة عنا. لقد جاء الله إلينا، جاء إلينا في شخص يسوع المسيح، ابن الله الأزلي، لكي يصنع لأجلنا ما لم يكن في مقدورنا على الإطلاق أن نصنعه لأنفسنا – إذ خلّصنا. وهذه هي «الأخبار السارة»، أو الإنجيل. إنها قصة الخلاص، فهي أعظم أخبار يمكن للعالم أن يسمعها، وهي أفضل رسالة يمكن للبشر أن يتلقوها. فهي رسالة يمكنها أن تجعل الحياة بأكملها جديدة – من الآن وإلى الأبد. لقد جاء الله إلى هذا العالم وعاش بيننا (يو ١: ١٤)، وقد تم هذا في يسوع المسيح.

تسمى هذه العقيدة عقيدة التجسّد. فالتجسد يعني أن الله «صار جسدًا» أو أن الله قد صار إنسانًا، فقد دخل الله إلى ساحة تجربتنا البشرية وصار واحدًا منا. الله معنا، إذ أصبح الإله السرمدي إنسانًا بشريًا. وهذا هو معنى النص العظيم في إنجيل يوحنا، الذي يقول: «والكلمة صار جسدًا وحل بيننا» (١: ١٤). فالأقنوم الثاني في الثالوث، ابن الله الأزلي، صار كائنًا بشريًا، ودخل إلى الحالة البشرية

وأصبح إنسانًا مثلنا، وشاركنا أحزاننا وأفراحنا ومشاعرنا. ففي يسوع المسيح، أخذ الله حالتنا البشرية بكل أشكالها ونواحيها.

لكنه أخذ حالتنا من كل الأشكال والنواحي، فيما عدا ناحية واحدة. فيسوع المسيح قد أصبح كائنًا بشريًا مثلنا تمامًا فيما عدا أنه لم يخطىء. إن يسوع المسيح هو الإنسان الوحيد الذي ظل أمينًا بالكامل لله، في كل الأشياء وبكل الطرق، فقد كان يسوع المسيح بلا خطية. إنه الشخص الوحيد الذي يمكن أن يقال عنه ذلك. لقد ظل بلا خطية لأنه كان إلهًا، ولكنه كان إنسانًا أيضًا، وفي إنسانيته فإنه يشارك معنا حياتنا أيضًا. تعرّض يسوع للتجربة كما نتعرض لها نحن – ولكنه لم يستسلم للخطية (عب ٤: ١٥). لقد حافظ على إخلاصه لله، الأمر الذي لا يمكننا أن نقوم بمثله بنجاح، ولكننا يمكن أن ننظر إلى يسوع المسيح، الذي سعى، كواحد منا، إلى طلب مشيئة الله في كل أمر. نعم، كان يسوع بلا خطية.

إله حقيقي وإنسان حقيقي

لقد كان اللاهوت المشيخي يؤكد دائمًا على حقيقة أساسية في إيماننا وهي أن يسوع المسيح ابن الله كان إلهًا حقيقيًا وإنسانًا حقيقيًا في نفس الوقت. ففي بشريته، لم يفقد يسوع ألوهيته، فقد كان هو الأقنوم الثاني من الثالوث، ولكنه في تجسده «أخلى نفسه» كما تقول الرسالة إلى أهل فيلبي، «أخلى نفسه»، و«وضع نفسه» آخذًا صورة عبد (في ٢: ٧–٨). لقد كان يسوع إلهًا وإنسانًا في نفس الوقت. وفي الأناجيل نقرأ عن معجزاته – وهي تلك الأحداث التي يمكن وقوعها فقط عندما يتواجد الله –

تلمع كل من ألوهية يسوع وبشريته بوضوح في الروايات الكتابية وكل منهما مهم.

مثل شفاء المرضى، وإخراج الشياطين، وإقامة الموتى. وهكذا فإننا عندما نرى معجزات يسوع نعرف أنه إله، وفي نفس الوقت، نرى بشرية يسوع العظيمة – فنرى محبته واهتمامه ومشاعره الإنسانية. نتذكّر كيف بكى عندما مات صديقه لعازر (يو ١١: ٣٥). وهنا تلمع كل من ألوهية يسوع وبشريته بوضوح في الروايات الكتابية، وكل منهما مهم.

لقد قلنا أنه أمر جوهري بالنسبة لإيماننا أن يكون يسوع إلهًا حقيقيًا وإنسانًا حقيقيًا معًا. فلابد أن يكون يسوع إلهًا حقيقيًا لكي يصنع لنا ما لا نستطيع فعله لأنفسنا، أن يخلصنا. ولابد أن يكون إنسانًا حقيقيًا لكي يكون له السلطان أن يكون مخلصنا. فلو كان أقل من إله حقيقي، ما كان أعظم من أي إنسان آخر – ولا أعظم من أية شخصية شهيرة من الأبطال البشريين حتى ننظر إليه بإعجاب وتعظيم. كما كان يجب أن يكون يسوع إنسانًا حقيقيًا لكي يشبه البشر تمامًا في بشريتهم. فلو لم يكن إنسانًا حقيقيًا، كيف كان يمكن لنا أن نصدق أنه يخلّص بشرًا مثلنا، أو كيف كان يمكن أن يكون واحدًا منا حقًا، يعرفنا ويجتاز التجارب مثلنا؟ لو لم يكن يسوع إنسانًا حقيقيًا لما كان استطاع أن يصل إلينا في هذه النقطة في أعظم درجات احتياجنا، في خطيتنا. هذا هو ما يشير إليه اللاهوتيون بمصطلح «طبيعتي المسيح». فيسوع المسيح كان إلهًا حقيقيًا وإنسانًا حقيقيًا، أي كانت له طبيعة إلهية وطبيعة بشرية. وقد اتحدت هاتان الطبيعتان في شخص واحد. لم تكن ليسوع شخصيتان، كما أنه لم يكن «نصف إله» و«نصف إنسان»، إنه لم يتصرف «كإله» نصف الوقت، أو في أيام معينة، و«كإنسان» في بقية الأيام! بل كان يسوع إنسان بالكامل وإله بالكامل في كل وقت. كانت الطبيعتان ضروريتين لكي يمكن ليسوع أن

يكون هو الشخص الذي نتحدث عنه. فهو كلمة الله الأزلي الذي يحيا بيننا؛ إنه هو «عمانوئيل»، الذي يعني «الله معنا». إنه رئيس كهنتنا الأعظم الذي تعرّض للتجربة كما نتعرض لها نحن – لكن بدون خطية (عب ٢: ١٧– ١٨؛ ٤: ١٥).

وهكذا فإن الأخبار السارة للإنجيل المسيحي هي أن الله قد نظر إلينا نحن الخطاة – نحن البشر الذين قد انفصلنا عن الله، والذين نعيش بموجب خططنا الخاصة، والذين قد فشلنا في العيش كما يريد الله. نظر الله إلينا وأرسل يسوع المسيح إلى عالمنا، باعتباره إلهًا حقيقيًا وإنسانًا حقيقيًا. وبمجيئه إلى عالمنا، قام يسوع بخلاصنا. وإذ أصبح واحدًا منا في يسوع المسيح، لم يصبح الله فقط «معنا»، ولكنه أصبح أيضًا «لنا». لقد عمل الله على خلاصنا بأن صنع لأجلنا ما لا نستطيع نحن في حالتنا الخاطئة أن نصنعه لأنفسنا. لقد عمل يسوع على خلاصنا وعلى استرداد علاقتنا بالله. وهذا هو احتياجنا الأعظم: أن نعيش في علاقة المحبة والإيمان الواثق التي يرغب فيها الله. كان احتياجنا الأعظم أن ننال غفرانًا لخطايانا – للأشياء التي نصنعها والتي تقاوم وتخالف إرادة الله. وكان احتياجنا الأعظم أن تكون لنا طبيعة جديدة غير الطبيعة «الخاطئة»، ولكن طبيعة تستطيع أن تحب الله بالمقابل وأن تعيش بطرق تتفق مع إرادة الله ومقاصده، لأننا نريد أن نفعل ذلك. إننا نحتاج ذهنًا جديدًا، وقلبًا جديدًا، وإرادة جديدة، أي أننا نحتاج، بكلمات أخرى، أن نكون «خليقة جديدة». الأخبار المدهشة هي أنه في يسوع المسيح، أصبحت هذه الخليقة الجديدة ممكنة ومتاحة لنا ولكل البشرية! (٢كو ٥: ١٧– ١٩).

الكفارة

لقد جاء إلينا يسوع «باعتباره إلهًا حقيقيًا وإنسانًا حقيقيًا»، ومات يسوع

لأجلنا. هذا هو التركيز المحوري للإيمان المسيحي: إن الله قد جاء إلى هذا العالم في يسوع المسيح، وأنه بموته على الصليب، فتح لنا يسوع الباب لأجل إمكانية جديدة بالكامل للحياة. هذا هو السبب في أن الرمز المحوري للمسيحية هو الصليب. فعلى الصليب، في مساء يوم الجمعة التي مات فيها المسيح، حدث أمر غيّر واقع البشرية إلى الأبد. فقد أوجد موت يسوع على الصليب علاقة جديدة بين الله وبين العالم الذي خلقه الله، ولكنه سقط في الخطية.

لقد تم الغفران والمصالحة، فمن خلال موت يسوع المسيح، تم استعادة العلاقة بين الإنسان والله مرة أخرى، تلك العلاقة التي كان من المقصود أن تتم في الخليقة.

لقد تم الغفران والمصالحة. فمن خلال موت يسوع المسيح، تم استعادة العلاقة بين الإنسان والله مرة أخرى، تلك العلاقة التي كان من المقصود أن تتم في الخليقة. علاقة الثقة والمحبة والطاعة، بدلاً من الخطية التي تقود البشر إلى التمركز حول الذات، والخوف من الثقة، والاهتمام بمصالحهم وشئونهم الخاصة فقط. جاء الغفران بالمسامحة والرحمة، فالغفران هو إقامة حالة جديدة أو وضع جديد في العلاقة بين الله والخطاة. يعني الغفران أن الماضي قد ولّى وانتهى، وأن «خليقة جديدة» قد نشأت، وأن الحياة الجديدة قد أصبحت واقعًا (٢كو ٥: ١٧-٢١).

كان هناك عددًا من التفسيرات في تاريخ اللاهوت المسيحي لشرح كيف أن موت المسيح يقود إلى غفران خطايانا وإلى فدائنا أو مصالحتنا مع الله. وهكذا يطلق على موت المسيح لاهوتيًا عقيدة «الكفّارة». والكفّارة تعني أن الله والبشر «في واحد»، أو أنهما قد تصالحا مع أحدهما الآخر.

التشبيهات الخاصة بالخطية والخلاص

نجد في الكتاب المقدس عددًا من التشبيهات المختلفة لوصف حالة البشرية

الخاطئة في علاقتها بالله. وقد تم استعارة هذه التشبيهات من مجالات مختلفة من التجربة البشرية. تقدم هذه التشبيهات صورة للحالة الخاطئة التي وجد البشر أنفسهم فيها. وتوجد عدة صور للطرق التي استطاع بها يسوع المسيح أن يتغلّب على هذه الحالة. تتحدث إلينا كل من هذه الصور بطرق مختلفة، فهي تتحدث عن حالاتنا المختلفة أو مراحلنا المختلفة في الحياة. فعندما نختبر الاحتياج فيما يختص بخطيتنا، نلتقي بصورة موت يسوع على الصليب حيث تسدد لنا هذا الاحتياج حيث نحن، وتقدم لنا الحل لأعمق احتياجاتنا.

الغفران: على المستوى الشخصي، يظهر الكتاب المقدس البشر على أنهم بعيدون وغرباء عن الله. فالمجتمع البشري الذي يرغب فيه الله، الذي يكون فيه الناس معًا، قد دمرته الخطية، فالناس ينظرون فيه إلى أنفسهم بدلاً من أن يهتموا ببعضهم البعض. إننا نسعى لتنفيذ خططنا الخاصة لحياتنا، ونهتم بأولوياتنا الشخصية فقط. لكن الأكثر من ذلك هو أن البشر بعيدون وغرباء عن الله نفسه، وهذا هو الانفصال عن الله. فالخطية تصنع حاجزًا في علاقة المحبة التي يسعى الله إليها مع مخلوقاته. ولذلك فإننا غرباء وبعيدون عن الله ومنفصلون عن خالقنا المحب. هذه هي الحالة البشرية الخاطئة. ولكن الكتاب المقدس يوضّح لنا أيضًا أن يسوع المسيح، بموته على الصليب، قد «عبر الهوة» بين الله والبشر. لقد تصرف الله كأب محب، فجاء يسوع كوسيط للحب، ومن خلال موته على الصليب، تغلّب يسوع على هذا الانفصال وأتى بالمصالحة. لقد وصل الله إلينا بمحبته عن طريق الصليب لكي ينتصر على انفصالنا وبعدنا عن الله. لقد مد إلينا يد المحبة الغافرة لكي يتغلّب على الماضي ويخلق علاقة جديدة من المحبة والثقة بيننا وبين الله.

> لقد كان الله راغبًا في الوصول حتى إلى نقطة الموت لكي يأتي بالبشر مرة أخرى إلى علاقة المصالحة.

وهكذا تم عودة طرفا العلاقة التي انقطعت معًا مرة أخرى، وأصبح الطرفان اللذان كانا بعيدين واحدًا مرة أخرى، الله والبشر أصبحا «في واحد» من خلال موت ابن الله. وهكذا ظهرت محبة الله للبشر، وكان ثمن هذه المحبة واضحًا للغاية. لقد كان الله راغبًا في الوصول حتى إلى نقطة الموت لكي يأتي بالبشر مرة أخرى إلى علاقة المصالحة. وقد ظهرت هذه المحبة بصورة واضحة ومؤثرة للغاية في يسوع. وهذا هو أحد معاني موت المسيح، أو الكفّارة. يمكننا أن نصير أولادًا لله، أولادًا لأبينا الإلهي في السماوات، من خلال موت ابن الله، يسوع المسيح.

المصالحة: على المستوى الاجتماعي، تمت المصالحة من خلال موت يسوع المسيح. والصورة هنا هي للذين كانوا بعيدين وغرباء عن بعضهم البعض وهم يجتمعون معًا بعد نزاع، فتنتهي العداوة وتبنى الصداقة. هذا هو ما حققه موت يسوع على الصليب (رو ٥: ١٠؛ كو ١: -٢١ ٢٢). لقد صالح الله البشر الخطاة لنفسه ولبعضهم البعض، وهكذا تغيرت العلاقات واختلفت، إذ قد تصالح الخطاة مع الشخص الذي أخطأوا ضده. فأصبح الخصوم والمقاومون أصدقاء، وحل السلام حيث كان يوجد العداء. هذا التغيير أتى بأعظم الآثار طويلة المدى، فبتغير العلاقات الاجتماعية، أصبح العالم «جديدًا» - مثل «خليقة جديدة» (٢كو ٥: -١٦ ٢١)، وأصبحنا أصدقاء وأحباء لله مرة أخرى ونعيش في سلام معه (أف ٢: -١٤ ١٦).

التحرير: هذا التصوير بالحرية يأتي من المجال العسكري. فقد كان البشر مسجونين بواسطة قوى الشر والخطية؛ ولكن يسوع بموته تغلّب على قوى الشر وجاء بالتحرير - حرية عظيمة. إن قيامة يسوع بعد موته على الصليب هو نصرة الله الإلهية على قوى الخطية والشر التي كانت تستعبد البشر وتأسرهم. وهكذا

يأتي موت المسيح بنصرة الحب على الكراهية، وبنصرة مقاصد الله للعالم على استعباد الرئاسات والقوى التي كانت تستعبد العالم وجميع البشر في قبضتها وتبعد كل إنسان عن أهداف الله ومقاصده. لقد تم التحرير من خلال موت يسوع، وتم تدمير معاقل الكراهية، وتم التغلب على قوة الشر التي كانت تقتل وتدمر. هذا التحرير يمكنه أن يحررنا من سيادة الخطية على حياتنا وعلى حياة العالم، لأن يسوع منتصر!

التطهير: هذه الصورة للتطهير هي من المجال الديني. فالبشر نجسون، إذ قد دنّستهم خطاياهم، فنحن لا نعيش بموجب نواميس الله، وبواسطة أفعالنا الخاطئة نشعر بعار نجاستنا في نظر الله الذي هو قدوس وعادل، والذي هو المقياس الذي يتم به الحكم على حياتنا. فعندما نختبر الشعور بالذنب الذي ينتج عن خطايانا، فإن هذا الشعور قد يترك لدينا «ضمير مذنب». إننا نعرف معنى الشعور بأن نكون في حاجة لإصلاح ما فسد أو للغفران والرحمة. إننا نحتاج شخصًا يمكنه أن يطهرنا ويجعلنا أبرارًا في نظر الله. في صليب يسوع المسيح نرى ابن الله الذي مات لأجلنا، فنقبل قداسة المسيح كذبيحة لخطايانا. فيسوع البار القدوس يقدم ويبذل نفسه بسبب عدم قداستنا وعدم برنا، لكي يطهرنا من الخطية والذنب. يعمل يسوع هنا عمل «رئيس كهنتنا»، إذ يقدم نفسه بدلاً عنا ويعطينا بره بدل خطيتنا. إن طهارة يسوع تغطي نجاستنا حتى يمكن لنا نحن النجسين أن ننال الغفران ونعرف السلام مع الله. لذلك ضحّى يسوع وقدّم نفسه عنا.

الفداء: من المجال الاقتصادي، نجد تصوير الفداء. وهنا يتم تصوير البشر على أنهم مستعبدون لسلطة الخطية في حياتهم. إنهم لا يتمتعون بحرية الإرادة،

ولا يمكنهم إلا أن يطيعوا دوافعهم التي تقودهم دائمًا للخطية. فالخطية هنا هي نوع من الإدمان، قوة لا يمكننا أن نهزّها أو نكسرها في حياتنا. وهذه الخطية تؤثر على كل شيء نفعله، فهي تأسرنا لسلطتها. فنحن نقوم دائمًا بكسر نواميس الله باختياراتنا الخاطئة، ونجعل الخطايا تتراكم داخلنا لأننا نتصرف من منطلق طبيعتنا فنحن بشر خطاة، لذلك فإننا عاجزون عن أن نساعد أنفسنا أو أن نغير مسار حياتنا إلى اتجاهات جديدة. لكن الله من خلال موت يسوع المسيح قام بالمبادرة، فموت يسوع هو «فدية» لصالحنا، أي أن يسوع قدّم طاعته الشخصية بدلاً عن عصياننا، فكسر السلطة القاهرة للخطية والموت لكي يحررنا من سلطان الخطية في حياتنا. يشبه هذا الأمر ما يطلق عليه في بعض الأحيان «التوسّط» أو التدخّل لصالح من يعانون من السلوك الإدماني. إن موت يسوع يجلب معه السلطان الذي يجعلنا أشخاصًا جددًا ويعطينا قوة جديدة للحياة. لقد افتدينا، وهذا ما يطلق عليه في بعض الأحيان «البدلية العجيبة». إن طاعة يسوع لنواميس الله وأمانته وإخلاصه لمشيئة الله هي الوسيلة التي يقبلها الله لفدائنا ولجعلنا أبرارًا في نظر الله. البدلية العجيبة هي أن البار يسوع المسيح، قد أخذ نجاستنا حتى نستطيع نحن الخطاة أن نفتدى وأن نتبرر في نظر الله، وهكذا مات يسوع لكي يفدينا من الخطية.

البدلية العجيبة هي أن البار يسوع المسيح قد أخذ نجاستنا حتى نستطيع نحن الخطاة أن نفتدى وأن نتبرر في نظر الله. وهكذا مات يسوع لكي يفدينا من الخطية

التبرير: ثم هناك أيضًا تصوير من المجال القانوني، وهو التبرير. في رسائل الرسول بولس بصفة خاصة، يتم تصوير البشر بأنهم مذنبون أمام الله. إننا مذنبون وخطاة لأننا كسرنا نواميس الله. فنحن لا نشرع في استعراض الوصايا العشر إلا

وندرك أننا غير كاملين ولم نتبع مشيئة الله بالطريقة التي يريدها. فنحن خطاة، بل ونستحق العقاب بسبب خطايانا. وهذا العقاب أو الدينونة هو نتيجة عصياننا. فالله هو خالقنا، وقد خلقنا لأجل طاعته، وحيث أننا عصيناه فإننا مذنبون ونستحق عقابًا عادلاً لخطايانا. الله قدوس وعادل، ونحن نجسون وخاطئون، ولكننا لا نستطيع أن نخلص أنفسنا من ذنبنا، ولا أن نجعل أنفسنا في علاقة سليمة مع الله مرة أخرى. فكيف يمكننا ذلك ونحن مأسورون لسلطان الخطية؟ لذلك فإننا نحتاج إلى شخص يعيننا من خارج أنفسنا، شخص يأخذ ذنبنا، ويتصرف نيابة عنا ويزيل عنا لعنة ناموس الله – الناموس الذي يظهر لنا ذنبنا. هذا الشخص هو يسوع المسيح الذي مات على الصليب. يقبل الله بر يسوع بدل نجاستنا، وطهارته بدل ذنبنا، وطاعته بدل عصياننا. وبالإيمان فإننا نقبل هذا العمل الذي عمله المسيح لأجلنا ونيابة عنا، وبذلك يغفر الله خطايانا ونتبرر ونخلص بما عمله يسوع المسيح. وعندها يعلن القاضي الديّان العادل الحكم ببرائتنا، بدلاً من مذنوبيتنا – لأن بر يسوع المسيح قد حسب لنا. هذا هو الغفران؛ وهذا هو التبرير؛ وهذا هو الخلاص.

هناك عدد من الصور الكتابية التي ترتبط بالخطية وبالخلاص. فحالتنا البشرية الخاطئة يتم إصلاحها بعمل يسوع المسيح. فحياتنا القديمة هي حياة الخطية؛ أما حياتنا الجديدة فحياة الخلاص. وقد أخذ اللاهوتيون هذه الصور الكتابية للخطية والخلاص وبنوا عليها نظريات الكفّارة لكي يشرحوا باستفاضة أكثر كيف أمكن لموت المسيح أن يأتي بالغفران والتحرير والتطهير والفداء والتبرير. فلا توجد نظرية واحدة فقط للكفارة قبلتها الكنيسة المسيحية بأكملها على أنها الطريقة الوحيدة لشرح كيف تمت عملية الخلاص بواسطة موت يسوع المسيح على الصليب. إن

الصليب شديد العمق والغنى بحيث لا توجد طريقة واحدة لتفسيره يمكن أن تستوفي معناه بالكامل. قال أحد اللاهوتيين في بداية القرن الماضي إن السبب في وجود ظلمة على وجه الأرض منذ الظهر وحتى الساعة الثالثة بعد الظهر عندما كان يسوع معلقًا على الصليب (مت ٢٧: ٤٥) هو لكي لا يستطيع أحد أن يعود إلى بيته ويقول إنه «رأى الأمر بأكمله»، فلا يمكن لأحد أن «يرى الأمر بأكمله» أو أن «يقول كل شيء» عندما يتعلق الأمر بعمل الكفّارة. لقد مات يسوع المسيح لأجل غفران خطايانا، وهذا هو ما يؤكده العهد الجديد (رو ٥: ٨)، لكن كيف فعل الله ذلك، فهذا سر إلهي. الأمر الواضح هو الدافع، فقد قبل الله موت المسيح كوسيلة لخلاصنا بسبب محبة الله الإلهية للعالم، ولكل واحد منا. كما تعبر عن ذلك أشهر الآيات الكتابية قائلة: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

قيامة يسوع المسيح

الرمز المحوري للمسيحية هو الصليب، والحقيقة المحورية للمسيحية هي قيامة يسوع المسيح. في قانون الإيمان الرسولي، بعد أن نعترف بأن يسوع قد «صلب، ومات، ودفن، و«نزل إلى الهاوية»، فإننا نؤكد أيضًا أنه «قام من الأموات في اليوم الثالث». إن هذا التأكيد الفريد يجعل المسيحيين متميزين عن الديانات الأخرى، ويجعل يسوع المسيح متفردًا عن كل من قد عاشوا على وجه الأرض. لأنه مات ولكنه قام ثانية من الأموات بقوة الله.

كان هناك دائمًا العديد من الأسئلة المتعلقة بقيامة يسوع. هل كان القبر فارغًا حقًا في صباح القيامة؟ أين ذهب جسد يسوع؟ ماذا كان شكل جسد قيامة يسوع؟ إننا

ببساطة لا نملك الإجابات على العديد من الأسئلة. فالكتاب المقدس لم يقصد أن يقدم لنا نوع المعلومات التاريخية والعلمية التي يمكن أن تجيب على كل شيء «تريد العقول الباحثة المفكرة أن تعرفه»! ولكنه بدلاً من ذلك يقدم لنا روايات عن قيامة يسوع في صباح الأحد بعد موته يوم الجمعة (مت ٢٨: ١- ١٥؛ مر ١٦: ١- ٨؛ لو ٢٤: ١- ١٢؛ يو ٢٠: ١- ١٠)، وعن ظهوره لمجموعة من النساء عند القبر حيث كان موضوعًا، وعن ظهوره بعد ذلك في مناسبات مختلفة لتلاميذه، ثم صعوده إلى السماء (مر ١٦: ١٩- ٢٠؛ لو ٢٤: ٥٠- ٥٣؛ أع ١: ٦- ١١)، وبعد ذلك الوقت توقفت ظهوراته.

إن الرواية المدهشة للكنيسة المسيحية الأولى هي قصة هؤلاء النساء والرجال الذين لا حصر لهم، ممن آمنوا بحقيقة روايات القيامة واختبروا أولاً بأول بأنفسهم حضور يسوع المسيح المقام في حياتهم. لقد علموا بحقيقة حضور المسيح وقوته كرفيق لهم في كل رحلة حياتهم. لقد آمنوا بذلك، والأكثر أنهم كانوا مستعدين وراغبين في التضحية بحياتهم كشهادة لحقيقة أن يسوع المسيح قد قام. كان هذا دائمًا هو العامل المفتاحي في المسيحية طوال الألفي عام الماضية: إن المسيح حي! لقد قام من بين الأموات بقوة الله.

فلماذا تم هذا الأمر وماذا يعني؟ يتبنى المشيخيون إجابة كتاب عقائد هايدلبيج «Heidelberg Catechism»:

س: ٤٥ ما الفائدة التي تعود علينا من «قيامة» المسيح؟

ج: أولاً، بقيامته غلب المسيح الموت، وجعلنا نشارك في بره الذي منحه لنا من خلال موته.

ثانيًا، نحن أيضًا قد قمنا بواسطة قوته إلى حياة جديدة.

ثالثًا، إن قيامة المسيح هي ضمان حقيقي لنا بقيامتنا المباركة. (العقائد ٤٥,٠٤).

قيامة المسيح ليست فقط مجرد معجزة حدثت منذ قرون مضت، ولكنها عمل الله القدير الذي يستمر في تأثيراته الممتدة والواهبة للحياة لنا اليوم. تظهر القيامة سلطة المسيح على الموت، فقوى الخطية والموت والشر التي قادت المسيح إلى الصليب، قد هزمت الآن بقيامته. فسلطة الله المنتصرة المحبة هي أقوى من القوى التي كانت تسعى لهزيمتها. إن قيامة المسيح تمكّننا كمؤمنين به من أن نشارك معه نصرة الخلاص التي حققها لنا، وهي الغفران والمصالحة والتحرير وجميع الوسائل الأخرى التي تعبر عن حياتنا الجديدة التي انتقلت من الخطية إلى الخلاص.

قيامة المسيح ليست فقط مجرد معجزة حدثت منذ قرون مضت ولكنها عمل الله القدير الذي يستمر في تأثيراته الممتدة والواهبة للحياة لنا اليوم.

يرتبط بذلك، كما يقول كتاب هايدلبيرج، إننا قد قمنا أيضًا بواسطة قوة المسيح إلى حياة جديدة. إن نفس قوة الله التي أقامت يسوع من الأموات قادرة على أن تقيمنا نحن أيضًا إلى حياة جديدة، مهما كانت حالتنا وظروفنا سيئة، ومهما كان عمق خطايانا، ومهما كان ما فعلناه في حياتنا وكان مقاومًا لإرادة الله ومقاصده. الحياة الجديدة في المسيح تعني الغفران والعتق من قوة وسلطان الخطية. إنها الوعد بحضور الله معنا الآن في المسيح، بحيث يمكننا أن نقاوم الخطية ونعيش نوع الحياة المُحِبَّة والواثقة والطائعة التي يقصد الله أن نختبرها.

كما أنه من فوائد القيامة أنها «ضمان أكيد بقيامتنا المباركة». فقيامة المسيح هي الوعد والضمان بأن موتنا الجسدي لا يعتبر هو نهاية حياتنا وعلاقتنا مع الله. إن لنا «حياة أبدية» – حياة نحياها إلى الأبد في محضر الله في السماء – لأن يسوع المسيح قد قام من الأموات. فقوة الله التي أقام بها المسيح من الأموات هي نفس القوة التي ستقيمنا للحياة الأبدية، لحياة النعيم والفرح الأبدي (١كو ١٥: ١٢-٢٨). تظهر

قيامة المسيح قوة الله في التغلب على الشر والألم والخطية والموت (أف ١: ١٠؛ في ٣: ١٠؛ ١بط ١: ٣). هذه القوة هي ملك لنا الآن في يسوع المسيح، لأن قيامته هي تأكيد لقيامتنا. فعلاقتنا مع الله لا تنتهي بموتنا الجسدي، والموت ليس هو نقطة النهاية لحياتنا، ولكنه مجرد فاصل، يرفعنا إلى مستوى جديد من الوجود في حضور الإله الأبدي. كما تصف الترنيمة هذا الأمر بالقول، «لإنه حي، فنحن أيضًا سوف نحيا»!

عمل المسيح

لماذا أرسل الله يسوع المسيح إلى العالم؟ ربما هناك العديد من الأسباب لذلك، ولكننا إذ نقرأ العهد الجديد ندرك أن شخص وعمل المسيح يرتبطان ببعضهما البعض بصورة لا تنفصم. فهوية يسوع تعبّر عن نفسها فيما فعله يسوع. فقد استطاع يسوع أن يفعل ما فعل بسبب هويته. فيسوع لم يقم فقط بمجرد التبشير والتعليم، ولكنه تصرف وعمل أيضًا. ونحن نفهم أعمال يسوع على أساس ما قاله وعلى أساس هويته.

غالبًا ما ينظر المشيخيون إلى عمل المسيح من ثلاثة نواح: فالوظائف الثلاثة التي قام يسوع بتحقيقها هي النبي والكاهن والملك. وهذه هي الطرق الثلاثة لفهم الصورة الكبيرة لهوية يسوع ولما فعله.

نبي: كان يسوع نبيًا، ومثل أنبياء العهد القديم، أعلن يسوع مشيئة الله ومقاصده. وكان يسوع معلمًا، فعلّمنا من هو الله، وما يريده الله منا كبشر، وما يعد به الله أن يفعله لنا وأن يكونه لنا. لقد أعلن يسوع أن ملك أو ملكوت الله قد أصبح الآن حقيقة واقعة على الأرض، وقد أعلن ذلك في شخصه هو وفي خدمته، أعلن أن ملكوت الله قد أشرق وأصبح قريبًا، وهكذا فإن يسوع هو نبينا.

كاهن: كما كان يسوع كاهنًا أيضًا، ففي موته على الصليب، مات يسوع عنا بتقديم نفسه كذبيحة لخطايانا. فبدلاً من أن نموت نحن بسبب خطايانا الشخصية – عقابًا لما فعلناه أو نتيجة لأفعالنا الخاطئة – تألم يسوع ومات بدلاً عنا. وهذا هو محور إيماننا: إن يسوع قدّم نفسه نيابة عنا. يطلق على موته هذا أحيانًا اسم الموت «النيابي». تقودنا صور وتشبيهات العهد الجديد عن الخطية والخلاص إلى هذا الحق، وهو موت المسيح بدلاً عنا، لكي نستطيع نحن أن نحيا. لقد قبل الله ذبيحة المسيح ذبيحةً عن الخطية – تمامًا كما كان يتم تقديم حيوان في العهد القديم ذبيحة بدلاً عن خطايا الشعب. ولكننا الآن لدينا الذبيحة الأعظم – ذبيحة ابن الله الذي أصبح ذبيحة خطية أمام الله، نيابة عنا. وقد قبل الله أن يقدّم موت يسوع لأجلنا، ولصالحنا. ومن خلال موت يسوع ننال الغفران، من خلال موت يسوع نتصالح مع الله، وتغفر خطايانا وننال حياة جديدة. وهكذا فإن يسوع هو كاهننا.

ملك: ويسوع هو ملكنا أيضًا. في الاستخدام الكتابي، يستخدم لفظ «ملك» للشخص الذي يحكم، فالملك له القوة والسلطان، والملك هو الذي يقدّم له الولاء والطاعة. يسوع المسيح هو ملكنا، فبعد موته على الصليب، قام يسوع من الأموات. وفي قيامته، أظهر يسوع أن قوة الله هي القوة العليا في الكون. في قيامته، تم تدمير قوة الخطية والموت. لقد تألم يسوع على الصليب ومات ودفن، ولكن الله بقوته أقامه من الأموات في اليوم الثالث. ومن تلك اللحظة، أصبح واضحًا أنه لا توجد في الكون بأكمله قوة يمكنها في النهاية أن تهزم قوة الله في يسوع المسيح. كانت أقوى القوى الموجودة في الكون التي تقاوم قوة الله هي قوة الشر والخطية والموت، وقد قامت كل هذه القوى «بفعل أسوأ ما لديها» كما نقول، إذ أماتت ابن الله البار. ولكن قوة الله قد انتصرت في القيامة، إذ قام يسوع المسيح من الأموات بقوة الله. والآن فإن

يسوع المسيح يحكم ويملك على العالم بأكمله. وفي صعوده، بعد حوالي أربعين يومًا من قيامته، يتم تصوير يسوع على أنه قد ارتفع عن الأرض، ارتفع لكي يجلس عن يمين الله (أع ١). ومن ذلك المركز – مركز السلطان والقوة – يحكم يسوع المسيح المقام هذا العالم. إن الملك والملكوت الذي كان يسوع يتحدث عنه عندما كان على الأرض، هذا الملكوت يعمل الآن في هذا العالم، وسوف يقام في النهاية بكل ملئة وكماله وقوته. وهكذا، فإن يسوع المسيح هو ملكنا.

يسوع هو نبي وكاهن وملك. هذه ثلاثة صور ركّز عليها اللاهوت المصلح كطريقة للتعبير عن شمولية عمل يسوع المسيح كإبن الله المتجسد الذي مات لأجل خطايانا، وقام بقوة الله، قام لكي يحكم العالم من خلال الحب. هناك تسلسل معين في هذه الصور الثلاثة. فقد كان يسوع نبيًا طوال حياته وخدمته؛ وكان كاهنًا في تألّه وموته؛ وهو الآن ملك من خلال قيامته وصعوده. ولكن بالإضافة إلى هذا التسلسل، يوجد أيضًا معنى شخصي من خلال هذه الصور الثلاثة. فيسوع هو نبي في حديثه إلينا بكلمة الله الإلهية، وهو كاهن في تشفّعه لأجلنا، وهو ملك في الحكم والسيادة علينا. وهذا يعني أن عمل يسوع المسيح ليس عملاً منفصلاً أو مستقلاً عن بعضه البعض. فحياته وموته وقيامته لهم أكثر التأثيرات الشخصية على حياتنا. وجميعها قدمت لأجلنا ونيابة عنا. لأن يسوع قد جاء لكي يخلّص «بشرًا مثلنا». وهكذا فإن جميع أعماله قد قام بها وحققها حتى يمكن نشر وإعلان الأخبار السارة بالخلاص للعالم أجمع.

> عمل يسوع المسيح ليس عملاً منفصلاً أو مستقلاً عن بعضه البعض فحياته وموته وقيامته لهم أكثر التأثيرات الشخصية على حياتنا.

أسئلة للمناقشة

١- لماذا يكون من المهم للمسيحية أن تؤمن بعقيدة التجسّد؟

٢- لماذا يكون من المهم بالنسبة للمسيحية أن تؤكّد على أن يسوع كان «إلهًا حقيقيًا وإنسانًا حقيقيًا»؟

٣- ما هي أكثر الصور عن الخطية والخلاص التي تمثل مغزى معينًا بالنسبة لك؟

٤- ما أهمية قيامة يسوع المسيح بالنسبة للإيمان المسيحي؟

٥- بأية طرق يمكن للمشيخيين أن يقدموا يسوع المسيح لجيرانهم ولمجتمعهم؟

(٨)
الـــروح القدس

لقد تحدثنا عن الله الذي يعلن والذي يخلق والذي يرشد ويقود، كما تكلمنا عن المسيح الذي يخلّص بشرًا مثلنا. ولكن هناك عضو ثالث في الثالوث، وهو الروح القدس. يشترك الروح القدس بالكامل في الألوهية مع الآب والابن. والروح القدس يعمل ويتحرك في جميع أعمال الألوهية.

لقد قلنا إن الخلاص يأتي إلينا في يسوع المسيح، من خلال عمل المسيح لأجلنا. وكما أوضحنا، فإن هناك مختلف الصور الكتابية التي تستخدم لوصف الحالة البشرية الخاطئة. كما توجد أيضًا العديد من الصور الكتابية التي تستخدم لوصف الخلاص الذي يمنح لنا من خلال يسوع المسيح. ويرى عمل المسيح في التقليد المشيخي على أنه عمل النبي والكاهن والملك – كوسيلة لوصف ملء ما قد فعله يسوع المسيح.

ولكن خلف كل الطرق التي يوصف بها الخلاص، يوجد الروح القدس. لقد رأى اللاهوت المشيخي الدور الجوهري للروح القدس في عملية الخلاص على أنه اعتقاد مهم للغاية. فالروح القدس هو الذي يمنح هبة الإيمان، والروح القدس هو الذي ينشىء الإيمان ويغذيه ويأتي للإيمان بالإثمار. وهذا أمر جوهري لأن الإيمان

هو الوسيلة التي بها يعي الإنسان حالته الخاطئة وتدبير نعمة الله للخلاص بيسوع المسيح. الروح القدس هو الذي يجعل الإيمان ممكنًا، فالروح القدس هو الله العامل داخلنا. أحيانًا يتم التمييز بين العمل «الموضوعي» للمسيح وبين العمل «الشخصي». فالعمل «الموضوعي» هو حياة المسيح وموته وقيامته وصعوده – الأمور التي قام بها يسوع المسيح، أو ما فعله الله في ومن خلال يسوع المسيح – أما «العمل الشخصي»، فهو استجابة الإنسان الشخصية لهذا العمل الموضوعي. إنه عمل يسوع المسيح الذي يصبح «واقعًا» بالنسبة لنا. فهو إدراكنا لاحتياجنا للخلاص، وقبولنا لعمل يسوع المسيح بالإيمان بأنه قد تم بالنسبة لنا شخصيًا. إنه الفعل الشخصي – الذي يجعل الخلاص واقعًا – هو عمل الروح القدس.

يتم تصوير الروح القدس في الكتاب المقدس على أنه يقوم بالكثير من الأمور. فالروح القدس كان يعمل في عملية خلق الله للعالم وفي حفظ العالم وكل الحياة البشرية (تك ١: ٢؛ ٢: ٧؛ مز ١٠٤: ٣٠). إن كلمة «الروح» في كل من اللغتين العبرية التي كتب بها العهد القديم، واليونانية التي كتب بها العهد الجديد، تعني حرفيًا «نفس» (من الفعل يتنفس)، فنفس الله هو روح الله، وروح الله أو نفخة الله يعطي الحياة لكي شيء. فعندما نرى الحياة – في أي مكان كان – نعرف أن روح الله يعمل.

والروح القدس عامل وفعّال في العالم، فروح الله هو الذي يعطي البشر الحكمة والثقافة والإبداع (خر ٣١: ١-٥؛ ٣٥: ٣١؛ أي ٣٢: ٨؛ دا ١: ١٧). وروح الله يعمل في كل من المجتمعات البشرية وفي الأفراد. روح الله هو الذي أوحى بالكتب المقدسة، والروح يساعد في تفسير الكتب المقدسة؛ والروح القدس هو الذي يمنحنا

الإيمان بيسوع المسيح. كما أن روح الله هو حضور الله المستمر في حياة الجماعة المسيحية (الكنيسة) وفي حياة الأفراد المسيحيين المؤمنين. وهكذا فإن الروح القدس هو فعال بصورة قوية وهائلة في كل الأزمنة والأماكن.

الروح القدس والكتب المقدسة

الأمر المهم بصورة خاصة هو أن ندرك عمل الروح القدس في ارتباطه بالكتب المقدسة. لقد تحدثنا من قبل عن الكتب المقدسة على أنها كلمة الله، والمكان الذي يظهر فيه إعلان الله عن نفسه. وهذا هو ما يجعل الكتاب المقدس كتابًا متفردًا ومتميزًا وجديرًا بالثقة بالنسبة للمسيحيين. ولكن كيف توصلنا إلى هذا الاقتناع؟ وما الذي قادنا للاعتراف بأن الكتاب المقدس ليست مجرد كتاب من مجموعة من الكتب الكثيرة، ولكنه كلمة الله؟ لقد كان اللاهوت المشيخي يدرك دائمًا بأننا يمكن أن نعترف بفهمنا للكتاب المقدس على أنه كلمة الله فقط عندما ينير الروح أذهاننا. يشير اللاهوتيون إلى هذا الأمر بأنه «الشهادة الداخلية»، أو «الشهادة الداخلية للروح القدس». وهذا يعني ببساطة أننا أثناء قراءتنا للكتاب المقدس، فإننا بعمل الروح القدس، نقاد للقاء مع الله في يسوع المسيح المعلن عنه في الكتاب المقدس. فالروح القدس «يشهد» ليسوع المسيح على أنه ربنا ومخلصنا، كما يشهد أيضًا للقناعة بأن الكتاب المقدس هو إعلان الله عن نفسه. ومن خلال شهادة الروح القدس فإننا نؤمن أن الله هو المؤلف النهائي للكتاب المقدس، فنسمع كلمة الله الإلهية من خلال الكلمات البشرية لمن كتبوا الكتاب المقدس بوحي الروح القدس.

الروح القدس والخلاص

الروح القدس «ينير» أذهاننا لكي نعترف بيسوع المسيح ربًا ومخلصًا. والصورة

هنا هي لشخص يساعدنا لكي نرى، أو يجعل هذا الاقتناع أو الاعتقاد واضحًا بالنسبة لنا. وهذه صورة ملائمة، لأن من تأثيرات الخطية على البشر أنها تقوم بإعماء أعينهم عن حقيقة الله. فالخطية تفسد قلوبنا وتحوّل أعيننا بعيدًا عن الله لكي ننظر إلى داخل أنفسنا، لاحتياجاتنا ورغباتنا.

لذلك فإن الروح القدس «يفتح أعيننا»، ومن خلال شهادة الروح داخلنا فإنه يمنحنا هبة الإيمان بحيث نستطيع عندها أن نرى يسوع المسيح كما هو حقًا: ربنا ومخلصنا. وهذه الاستنارة هي عمل الله داخلنا بالروح القدس. فنحن بقوتنا الخاصة لا نستطيع أن نأتي للإيمان من تلقاء أنفسنا، أو أن نزيل العمى من أعيننا، فقوة الخطية شديدة ومتسلطة للغاية. الله وحده من خلال الروح القدس هو الذي يستطيع أن يعمل داخلنا ويعطينا هذه الرؤية الجديدة. بالروح القدس نستطيع أن نرى يسوع على حقيقته وأن نرى الكتاب المقدس كما هو حقًا، إعلان الله الإلهي لنا. بدون عمل الروح القدس داخلنا لن نستطيع أن نؤمن بالبشارة المسيحية، فعمل الروح القدس القدس ينير لنا هذا الأمر ويمكّننا من أن نرى يسوع المسيح، بل في الحقيقة خليقة الله بأكملها، بعيون جديدة هي عيون الإيمان.

الروح القدس «يفتح» أعيننا وقلوبنا. والروح القدس يهبنا عطية الإيمان التي هي الوسيلة التي بها يصبح الخلاص حقيقيًا وواقعًا بالنسبة لنا. وبالإيمان نجعل عمل يسوع المسيح – موته وقيامته – شخصيًا بالنسبة لنا. الروح القدس يهبنا الإيمان وهكذا يجعلنا «خليقة جديدة» (٢كو ٥: ١٧). فننتقل من الخطية إلى الخلاص، ومن «الموت» إلى «الحياة» (١يو ٣: ١٤). كما أننا ننجذب إلى المسيح بواسطة عمل الله من خلال الروح القدس (يو ٦: ٤٤). يطلق على هذا الأمر لاهوتيًا مصطلح «الولادة

الجديدة»، وهو عمل الله في تغييرنا من الداخل. ففي الميلاد الجديد، يعطينا الروح القدس «ولادة من فوق» (يو ٣: ٣)، وخلاصًا من خلال يسوع المسيح (تي ٣: ٥). والروح القدس يجعل عمل المسيح واقعًا بالنسبة لنا عندما يعطينا قلبًا جديدًا وذهنًا جديدًا. الروح القدس يتغلّب على سلطة الخطية التي تستعبدنا والتي تؤثر على حياتنا بأكملها بأن يجعلنا داخل شعب جديد. وهكذا تنكسر سلطة الخطية على حياتنا من خلال عمل المسيح الذي نفهمه ونؤمن به ونحبه بعمل الروح القدس داخلنا. كما يتغير قلبنا وذهننا ووجودنا بأكمله بحيث أن تشبيهات «الميلاد الجديد» و«الخليقة الجديدة» تصبح متفقة معنا تمامًا، فنحب الله ونحب يسوع المسيح ونثق فيه ونسعى لكي نعمل إرادته بدلاً من أن نعيش حياتنا «منحصرين داخل أنفسنا» ونسعى لتحقيق مصلحتنا الخاصة. وهكذا فإن الروح القدس هو وسيلة الخلاص.

يركز اللاهوت المشيخي على دور الروح القدس في الخلاص، ففقط من خلال عمل الروح القدس، يمكن للخلاص أن يصبح واقعًا وحقيقيًا بالنسبة لنا. الروح القدس يشهد لعمل يسوع المسيح الذي أرسله الله لكي يعيش ويموت ويقوم من الأموات مرة أخرى لأجل خلاصنا (١كو ١٢: ٣).

أسئلة للمناقشة

-١ هل تفكر كثيرًا في وجود الروح القدس في حياتك؟ ولماذا؟

-٢ ما الأمثلة التي تراها في العالم من حولك عن عمل الروح القدس؟

-٣ لماذا يكون من المهم أن ندرك عمل الروح القدس في قيادتنا للإيمان بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله؟

-٤ ما هي الطرق التي يمكن للروح القدس بها أن يقودنا لكي نؤمن بيسوع المسيح؟

-٥ هل تعتقد أن المشيخيين يركزون تركيزًا كافيًا على الروح القدس اليوم؟ ولماذا؟

(٩)
الاختيار والتعيين المسبق

يركز اللاهوت المشيخي بصورة خاصة على أنه فقط من خلال عمل الروح القدس يمكننا أن نأتي إلى الإيمان بيسوع المسيح. والروح القدس يدعو شعب الله معًا في جماعة الإيمان، التي ندعوها الكنيسة. إن فهمنا لهذه الأمور المهمة يساعدنا على أن نتعامل بأفضل ما يمكن مع العقيدة المعروف بها التقليد المصلح – وعلى الأخص المشيخيين – ألا وهي عقيدة التعيين المسبق أو الاختيار.

هناك الكثير من التعليقات الساخرة الشائعة عن عقيدة التعيين المسبق. ففي بعض الأحيان يقال إن هذه العقيدة تحوّل الناس إلى دمي أو عرائس، لأنه لا يكون لديهم حرية الاختيار بل يقومون فقط بلعب أدوار سبق الله وحددها لهم في الحياة، وهكذا فإن حرية الاختيار تكون أمرًا وهميًا وغير حقيقي. وأحيانًا يقال إن التعيين المسبق يصوّر الله وكأنه طاغية جبار، يحتفظ بالخلاص لجماعة منتقاة قليلة فقط من الناس. ومن نواحي أخرى فقد تم انتقاد عقيدة الاختيار على أنها تقطع عصب عملية التبشير وتبطلها، أو تجعل المسيحيين يعتقدون حيث أنهم من ضمن «المختارين»، أنهم يستطيعون ببساطة أن يسلكوا في الحياة المسيحية بدون أن يكون عليهم

التوافق مع متطلباتها. وفي بعض الأحيان تم ترجمة كلمة «الاختيار» على أنها «النخبة»، مما يجعل بعض الناس يظنون أنهم «أفضل» من الآخرين.

لاهوتيًا، يعتقد المشيخيون أن هذه التعليقات الساخرة ليست دقيقة، رغم أنه ليس جميع المشيخيين يعتنقون بالضبط نفس الآراء الخاصة بالاختيار والتعين والمسبق. فآراء چون كالڤن، وآراء أتباع كالڤن في القرن السابع عشر (التي يطلق عليها الأرثوذكسية المصلحة Reformed Orthodoxy)، وفي القرن العشرين، آراء اللاهوتي المصلح السويسري كارل بارت (١٨٨٦ – ١٩٦٨ Karl Barth) جميعها قد عبّرت عن هذه العقائد بطرق تتمثّل بها بعض الاختلافات. إن ما يتبع هنا يعتمد بالأكثر على كالڤن والعقائد المصلحة، وهي الآراء التي كان لها التأثير الأعظم تاريخيًا بين المشيخيين.

إن مصطلحي «الاختيار» «Election» و«التعيين المسبق» «Predestination» غالبًا ما يستخدما كمترادفين وهما يشيران إلى عمل الله في الخلاص.

إن مصطلحي «الاختيار» «Election» و«التعيين المسبق «Predestination» غالبًا ما يستخدما كمترادفين، وهما يشيران إلى عمل الله في الخلاص. وهذه العقيدة يساء فهمها كثيرًا، ففي التقليد المشيخي تطورت عقيدة التعيين المسبق بعدة طرق. وهي ترجع في أساسها إلى آراء چون كالڤن في القرن السادس عشر (ومن قبله إلى اللاهوتي أوغسطينوس في القرن الرابع). ولكن هذه العقيدة تطورت أيضًا بعد زمن كالڤن، في القرن السابع عشر بشكل يبدو للبعض أنه شديد القسوة. وهذه الصيغة موجودة في عقائد إيمان ويستمينيستر Westminster. وهي تتحدث عن قوانين الله الأزلية التي بموجبها سبق الله «لإظهار مجده» فعيّن بعض الأشخاص والملائكة

«للحياة الأبدية»، بينما تم «تعيين الآخرين مسبقًا للموت الأبدي» (العقائد ٦,٠١٦). فقد اختار الله في المسيح أولئك الذين بسبب «نعمة الله ومحبته المجانية وحدهما» قد «اختيروا» للخلاص، بينما حجب الله نعمته عن الآخرين، واختار أن يتخطاهم وأن «يعيّنهم للخزي والغضب بسبب خطيتهم» (العقائد ٦,٠٢٠). وهكذا يوجد مختارون وغير مختارين. المختارون هم الذين عيّنتهم نعمة الله للخلاص؛ والآخرون هم الذين تم تخطيهم وتلقوا نتائج أفعالهم الخاطئة، التي هي الدينونة وغضب الله.

كانت هذه هي نظرة التعيين المسبق التي كانت شديدة التأثير في التاريخ المشيخي. لكن عقائد الإيمان الأخرى في تقليدنا لا تذهب إلى هذا الحد من التفصيل بخصوص هذه العقيدة. فالاعتقادات الأخرى لا تتعامل مع هذه العقيدة بصورة تفكر في أعمال الله منذ الأزل، كما يفعل كتاب اعتقادات إيمان ويستمينيستر، بل بدلاً من ذلك، فإن هذه الاعتقادات (وكالڤن نفسه في كتابه «مبادىء الديانة المسيحية») يتعامل مع عقيدة الاختيار والتعيين المسبق في سياق الخلاص Soteriology، أي في كيفية حصولنا على الخلاص. إن الهدف من عقيدة التعيين المسبق ليس أن تقود الناس للتخمين عما إذا كانوا ممن قد خلصهم الله أم لا. لكننا إذا فكرنا في الله وفي أعماله، أو فيما يمكن أن يعمله الله (ما يطلق عليه لاهوتيًا «قوانين الله»)، فمن الممكن أن نفكر في أن الله يعمل قانونًا مطلقًا بشأن من الذين سيخلصون ومن الذين لن يخلصوا (كما في إقرار إيمان ويستمينيستر الذي اقتبسنا منه من قبل)، ولكن عمل الله هذا لن يكون معلومًا لنا نحن البشر.

لكن لنفكر في الفارق عندما نتأمل في عقيدة الاختيار في سياق اختبار الخلاص،

فيما فعله الله لنا في يسوع المسيح. عندها لن يكون السؤال عما خططه الله أزليًا في الماضي الغامض السحيق، والذي هو غير معروف بالنسبة لنا. ولكن السؤال الآن هو: هل أقبل الخلاص بيسوع المسيح المقدم لي الآن؟ هل أستجيب لعطية الله بالخلاص في ومن خلال يسوع المسيح؟ إن كنت سأقبل، فإنني سأدرك أن الله قد اختارني أو «انتخبني» لكي آتي إلى الإيمان بقوة الروح القدس.

بالنسبة لكالڤن، نشأت عقيدة التعيين المسبق من موقف شديد العملية. فقد تساءل، لماذا يؤمن بعض الناس بالبشارة المسيحية، بينما لا يؤمن آخرون بها؟ وكانت هذه مشكلة رعوية بالنسبة له. وكانت إجابة كالڤن هي أن بعض الناس يؤمنون لأن الله من خلال الروح القدس قد منحهم عطية الإيمان، وهذا هو اختيار الله لهؤلاء الناس للإيمان، وبالتالي لأن يكونوا مؤمنين. فهذا هو انتخاب الله الذي يتحدث عنه الكتاب المقدس عندما يقول الرسول بولس مثلاً في رسالة رومية «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين» (رو ٨: ٢٩)، أو في أفسس ١: ١١ «الذي فيه أيضًا نلنا نصيبًا معينين سابقًا حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته». والتركيز هنا هو على أن الله هو الذي يختار الأشخاص في يسوع المسيح. وهؤلاء الأشخاص هم الذين يظهرون الإيمان الذي يأتي كعطية من الروح القدس. فعندما نرى أشخاصًا لديهم إيمان يمكننا أن نتأكد أن الروح القدس هو الذي يعمل في حياتهم، لأننا لا نأتي للإيمان بيسوع المسيح من تلقاء أنفسنا، بل نأتي كنتيجة لعمل الروح القدس داخلنا. فإن آمنا فهذا لأن الله قد عمل داخلنا بنعمته بواسطة الروح القدس لكي ينير حياتنا حتى نؤمن بيسوع المسيح و«نولد من جديد» في المسيح، فنصبح «خليقة

جديدة». وهكذا فإن الاختيار أو التعيين المسبق هو طريقة أخرى لقول إننا قد خلصنا بنعمة الله.

هذه الطريقة لفهم الاختيار والتعيين المسبق تركز على الحاضر والمستقبل. فنحن لا نجلس ونخمّن ما إذا كان الله قد اختارنا منذ الأزل للخلاص أم لا، أم إذا كنا جزءًا من قانون الله الأزلي في الاختيار، بل بدلاً من ذلك، فإننا نركز على السؤال العملي التالي، فنسأل أنفسنا ببساطة: هل أؤمن بيسوع المسيح؟ فإن كنا نستطيع أن نجيب بكل إخلاص، نعم إني أؤمن بأن يسوع المسيح هو ربي ومخلصي – يمكننا عندها أن نتأكد من اختيارنا. فاستجابتنا للمسيح هي السؤال الجوهري. يدعو كالڤن المسيح «مرآة الاختيار» (المبادىء ٣,٣٤,٥). فإننا إذ ننظر إليه، نرى مقاصد الله المحبة في الخلاص، وأنه من خلال موته وقيامته يمكننا أن نشارك في الخلاص الذي يهبنا الله إياه بالنعمة. وهكذا فإن سؤالنا الخاص باختيارنا للخلاص يجب أن يكون «مركّز على المسيح» أو على يسوع المسيح. يعلن كتاب عقائد إيمان هلفيتيك الثاني «إننا قد انتخبنا أو سبق تعييننا في المسيح» (العقائد ٥,٠٥٣). فهل نؤمن به باعتباره ابن الله واعتباره ربنا ومخلصنا؟ إن كان كذلك، فنحن نعرف أن الروح القدس كان يعمل في حياتنا وأنه قد أعطانا عطية الإيمان. علينا أن نتذكر أن البشر في اللاهوت المشيخي مستعبدون لسلطة الخطية، فلا يستطيعون عمل أي شيء من تلقاء أنفسهم لكي يخلقوا الإيمان فيهم أو لكي يتخلصوا من حالتهم الخاطئة. فإن كنا نريد أن نخلص، لابد أن يكون عمل الله من خلال الروح القدس هو الذي يأتي بنا إلى الإيمان بمخلصنا يسوع المسيح. لذلك فإن كان لدينا بالفعل إيمان بيسوع المسيح، فإننا نعرف أن الروح القدس يعمل فينا، وأن الله قد اختارنا. يعبّر عقائد

إيمان هلفيتيك الثاني عن هذا الأمر بالقول: «دع المسيح يكون هو مرآتك، الذي فيه يمكننا أن نفكر في تعييننا المسبق. يمكننا عندها أن تكون لدينا شهادة كافية وواضحة وأكيدة أننا مكتوبون في سفر الحياة، مادامت لدينا شركة مع المسيح، وعندما يكون هو لنا، ونحن له، بإيمان حقيقي» (العقائد ٥,٠٦٠).

الوجه الآخر لهذا الأمر هو أننا بينما لا نقوم بالجلوس والتخمين بشأن اختيارنا الشخصي، فإننا لا نخمّن أيضًا بخصوص الآخرين، ما إذا كانوا من المختارين أو المخلّصين أم لا. فكونهم من المخلّصين أم لا، هذا هو قرار الله، أن يعمل داخل الناس بالطرق التي يرغب فيها. فليس من شأننا أن نحكم في هذا الأمر، وليس من دورنا أن نخمّن بشأن المصير الأبدي للناس. فقد لا يبدي اليوم شخص ما أية بادرة للإيمان بالمسيح، لكن في الغد، قد يعمل فيه روح الله بطريقة قوية تفوق التوقعات، لكي يخلق فيه الإيمان ويحوّل هذ الإنسان إلى شخص مؤمن حقيقي! فنحن ببساطة لا نعرف ما يفعله روح الله في حياة الناس، إذ أن عمل الله في وسطنا هو سر غامض. لذلك يجب أن يقودنا هذا الأمر للتسبيح والشكر عندما يكون الإيمان حقيقيًا، وعندما يعمل روح الله.

> الاختيار أو التعيين المسبق يجب أن يكون عقيدة مريحة ومعزية للغاية بالنسبة لنا، فهو يرشدنا لحقيقة أن الله هو من يخلصنا، وليست أنفسنا.

الاختيار أو التعيين المسبق يجب أن يكون عقيدة مريحة ومعزية للغاية بالنسبة لنا، فهو يرشدنا لحقيقة أن الله هو من يخلصنا، وليست أنفسنا. وخلاصنا يأتي من عمل الله في حياتنا بالروح القدس الذي يهبنا الإيمان بيسوع المسيح. فنحن لا نخلّص ولا نستطيع أن نخلّص أنفسنا. هذه هي حقًا «الأخبار السارة»! فالأخبار

السارة هي أن الله يستطيع وهو الذي يصنع لنا ما لا نستطيع نحن أن نفعله – فهو يخلّصنا. فخلاصنا لا يعتمد على إيماننا نحن – على مدى قوته أو كثرته أو عمقه. بل أن خلاصنا يعتمد على عطية الله لنا بالإيمان، عطية الله الكاملة، القادرة على أن تعطينا حياة جديدة في يسوع المسيح وعلاقة جديدة مع الله ومع الآخرين. إن تعزيتنا وثقتنا هي أن خلاصنا يعتمد على الله، وليس علينا. لذلك فإن السؤال الوحيد الذي يجب أن نطرحه هو: هل أؤمن بيسوع المسيح؟ فإن استطعنا أن نجيب على هذا السؤال بالإيجاب، فإننا عندها نعرف أن روح الله قد خلق فينا الإيمان وأننا نثبت في المسيح (١يو ٣: ٢٤؛ يو ١٥: ٤-٥). إن إيماننا أكيد ووثيق بعمل الله، وليس بعملنا نحن.

أسئلة للمناقشة

-١ لماذا يكون من المهم بالنسبة للمشيخيين أن يؤكدوا على أن خلاصنا يرجع لنعمة الله واختياره هو وحده؟

-٢ ما هي الطرق التي تساعدنا على التفكير في الاختيار بالتركيز على السؤال: «هل أؤمن بيسوع المسيح؟».

-٣ ما هي الطرق التي يمكن بها لعقيدة الاختيار والتعيين المسبق أن تقود إلى تبشير نشط وفعّال؟

-٤ هل تعتقد أن الله ملزم إما بأن «يخلّص» جميع الناس أو بأن «يدين» جميع الناس؟

-٥ ما هي التعزيات والتحديات التي تجدها في عقيدة الاختيار؟

(١٠)
الخلاص بالنعمـــة

يعني اختيار الله لنا بالنعمة أن نعمة الله هي التي خلصتنا. فنعمة الله طاهرة وهي فضل من الله لا نستحقه، توهب لنا بدون أي شروط مسبقة أو إنجازات بشرية نحققها. فالنعمة هي عطية الله. ومعنى كوننا قد خلصنا بنعمة الله هو أننا قد خلصنا فقط بواسطة فضل الله العظيم علينا – وليس بسبب أي أعمال نقوم بها، أو أي شيء نحققه، أو بمدى اجتهادنا في تطهير أنفسنا. لقد خلصنا بنعمة الله المعطاة لنا في يسوع المسيح. وإيماننا في يسوع هو الوسيلة التي بها يصبح الخلاص بالنعمة حقيقة بالنسبة لنا. يعبر الرسول بولس عن ذلك قائلاً، «لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد». (أف ٢: ٨– ٩). يرى المشيخيون الخلاص بالنعمة كوسيلة لتأكيد اختيار الله وتعيينه المسبق للمؤمنين. فقد تبنانا الله في عائلة العهد عن طريق عمل الله في يسوع المسيح، والذي يأتي إلينا كفضل لا نستحقه (نعمة) وليس نتيجة لأي مجهودات أو أعمال من ناحيتنا (غل ٤: ٤– ٥؛ أف ١: ٥).

يرى المشيخيون الخلاص بالنعمة كوسيلة لتأكيد اختيار الله وتعيينه المسبق للمؤمنين.

إن عقيدة «التبني» هي تعبير عن هذا الدخول في عائلة عهد الله (رو ٨: ١٥).

يركز المشيخيون على أننا نقبل «نعمة التبني» و«نتمتع بحريات وامتيازات أبناء الله» (العقائد ٦,٠٧٤). نعمة الله تعني الانتماء لله، وقبول روح الله وإمكانية الاقتراب لله كما يقترب الأبناء من والديهم «بجرأة وثقة» (أف ٣: ١٢؛ رو ٥: ٢؛ عب ٤: ١٦). يتراءف الله علينا (مز ١٠٣: ١٣، ويحمينا (مز ٢٧: ١-٣)، ويسدد احتياجاتنا (مت ٦: ٣٠)، ويعتني بنا (١بط ٥: ٧)، وفي بعض الأحيان يؤدبنا (عب ١٢: ٦)، ولكن الله لا يتركنا أبدًا (مز ٩٤: ١٤؛ عب ١٣: ٥)، بل أننا قد «ختمنا ليوم الفداء». (أف ٤: ٣٠)، ونرث مواعيد الله الرائعة (عب ٦: ١٢) ونقبل خلاصًا أبديًا (٢تي ٢ ١٠؛ ١بط ١: ٤؛ عب ١: ١٤).

يعمل الخلاص بنعمة الله ويعبّر عن نفسه بعدد من الطرق. فحياتنا بكوننا شعبًا مؤمنًا هي اكتشاف مستمر ورائع لما قد فعله الله، ويفعله، وما سيفعله في حياتنا بقوة الروح القدس. فعلينا أن نكون على وعي دائم بأن كل ما نحن عليه وكل ما لدينا يأتي من الله. إننا نختبر بركات الله ونعمه في حياتنا ونرى قيادة الله الإلهية لنا وإرشاده لحياتنا خلال جميع الظروف والتجارب. لهذا فإن اتجاهنا نحوه هو اتجاه الامتنان والتسبيح لله.

هناك بعد مميز لكوننا مسيحيين مشيخيين وهو فهمنا وإدراكنا لعمل الله في حياتنا، في الخلاص، وفي اختبارنا ووجودنا المسيحي بأكمله. لكي نفهم هذا الأمر، يمكننا أن نفحص بعض خطوات الخلاص. وهذه الخطوات يتم التعبير عنها بكلمات موجودة في مفردات اللاهوت المسيحي والاختبار المسيحي، وهي مصطلحات لاهوتية يشترك فيها المشيخيون مع بقية المسيحيين من الطوائف الأخرى، فهذا لا يبعدنا عن الشركة المسيحية والمحبة المتبادلة مع المسيحيين الآخرين، بل بدلاً من ذلك يقودنا

إلى الطرق التي بها تصير معتقداتنا المشيخية تعبيرًا حقيقيًا عن البشارة المسيحية، والأمور المحددة التي تساعد على جعل المعتقدات المشيخية مميزة. وفيما يلي بعض من هذه «الخطوات للخلاص».

مبادرة الله

واحد من المبادىء المميزة للمعتقد المشيخي هو أن الله هو الذي يأخذ المبادرة. فنحن نرى ذلك منذ البداية في الإعلان، حيث اختار الله أن يعلن عن نفسه. ففي الخليقة، اختار الله أن يخلق الكون والعالم وأن يخلق البشر. كذلك أيضًا في الخلاص، ففي الاختيار والتعيين المسبق يقوم الله باختيار أن يخلّص البشر، بسبب محبته ورحمته الإلهية.

وبينما نختبر الخلاص، فإننا نعي أن الله يعمل، وأنه كان يعمل داخلنا دائمًا من قبل أن نعي الإيمان بيسوع المسيح بفترة طويلة، سندرك أن الله كان يعدّ حياتنا لكي نأتي إلى الإيمان بيسوع المسيح. إن كنا قد تعمدنا ونحن أطفال، فإننا ندرك أنه من خلال المعمودية كان الله يتواصل معنا ويجذبنا لكي ننضم إلى جماعة وشعب العهد من خلال الكنيسة ومن خلال والدينا. يطلق اللاهوتيون على هذا الأمر أحيانًا «النعمة المسبقة» أو «النعمة التي تأتي قبل» أن نؤمن. وهذه النعمة التحضيرية هي عمل الله الذي يقوم به قبل أن نؤمن بفترة طويلة، وهي تعبير عن محبة الله التعيينية.

إن خلاصنا بنعمة الله كتعبير عن اختيار الله لنا، بينما هو يتأصّل في محبة الله ورحمته الأزلية، إلا أنه يصاغ ويتشكّل بالنسبة لنا في الحياة التي نعيشها. بعض الناس يكون من الواضح لديهم تمامًا اللحظة المحددة التي جاءوا فيها للإيمان بيسوع المسيح، فاختبارهم يكون شديد الحيوية والوضوح، أما البعض الآخر فيكون

مجيئهم للإيمان بيسوع المسيح كرب ومخلص تدريجيًا أو يكون توجّهًا مستمرًا في حياتهم يأخذ شكله على مدى عدة سنوات. فقد ينظر المرء إلى حياته الماضية ويقول، «إني لا أذكر وقتًا لم أكن فيه مؤمنًا». لكن في كلتا الحالتين، فإننا نعي أننا قد أتينا للإيمان بيسوع المسيح، وأننا قد فعلنا ذلك بواسطة محبة الله وقوته فينا.

الميلاد الثاني

لقد أدرك المشيخيون أنه لكي يتأصّل الخلاص داخلنا فإن «الميلاد الثاني» هو نقطة البداية. فماذا يعني ذلك؟ «الميلاد الثاني» هو مصطلح لاهوتي يأتي من المصطلح اللاتيني regeneratio بمعنى «ميلاد جديد»، والميلاد الثاني يتم بعمل الروح القدس الذي يغيّر حياتنا بإعطائنا هبة الإيمان حتى نختبر «ميلادًا جديدًا» أو «حياة جديدة» في يسوع المسيح، أو حتى نختبر «الخلاص» (تي ٣: ٥). بمعنى أشمل، إن اختبارنا المسيحي بأكمله، عندما نتأمل فيه، هو عبارة عن «ميلاد ثاني». فقد اجتزنا وعبرنا من «الموت» إلى «الحياة» (يوه: ٢٤؛ رو ٦: ١٣؛ ١يو ٣: ١٤). إننا نختبر «موتنا» عن الخطية وانتقالنا «للحياة» لكي يكون لنا وجود جديد في يسوع المسيح. فنعي خطيتنا، وندرك يسوع المسيح كالشخص الذي مات لأجل خطايانا، ونقبل محبته وغفرانه، ونختبر «الخليقة الجديدة» إذ «الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا» (٢كو ٥: ١٧). إن نعمة الله لم تثبّت فينا حالتنا القديمة، بل قد جعلنا الله مخلوقات جديدة.

> الميلاد الثاني يتم بعمل الروح القدس الذي يغيّر حياتنا بإعطائنا هبة الإيمان حتى نختبر «ميلادًا جديدًا» أو «حياة جديدة» في يسوع المسيح.

«الميلاد الثاني» هو طريقتنا للإشارة إلى ما قد صنعه الله داخلنا بقوة الروح القدس. فالله يفتح أعيننا، ويفتح آذاننا، ويغرس فينا عطية الإيمان حتى نستطيع

أن نستفيد بالخلاص المعطى لنا من خلال صلب وقيامة يسوع المسيح. وهذا شيء لا يمكننا أن نفعله لأنفسنا بسبب خطيتنا، لذلك فقد قام الله بالمبادرة، وفي اختياره لنا بالنعمة «ولدنا ثانية» بإعطائنا هبة الحياة الجديدة.

التجديد

والتجديد يعني «تغيير الاتجاه» إنه استجابتنا الواعية لعمل الله التجديدي داخلنا إنه تحولنا إلى اتجاه جديد وفعلنا الواعي الإرادي بمحاولة الحياة كتلاميذ وعبيد ليسوع المسيح

الخطوة الثانية في خلاصنا هي التجديد. والتجديد يعني «تغيير الاتجاه»، إنه استجابتنا الواعية لعمل الله التجديدي داخلنا. إنه تحولنا إلى اتجاه جديد، وفعلنا الواعي الإرادي بمحاولة الحياة كتلاميذ وعبيد ليسوع المسيح.

هناك العديد من الطرق التي بها يصبح الناس «متجددين»، فيمكن لله أن يستخدم العديد من الوسائل لكي يعطينا هبة الإيمان في المسيح، وأن يأتي بنا للنقطة التي نتحوّل فيها ونتجه اتجاها جديدًا في الحياة. في معظم الأحيان يحدث ذلك من خلال التبشير بكلمة الله. فحيث يعلن يسوع المسيح ابنًا لله، وربًا، ومخلصًا، يعطينا الروح القدس هبة الإيمان في الميلاد الثاني، فنؤمن به ونغير اتجاهنا. هذا هو ما يقوم العهد الجديد بتصويره في كثير من الحالات عندما يقوم الوعاظ بالتبشير: فيؤمن جماهير من الناس كما يؤمن الأفراد بالإنجيل أو «بالأخبار السارة»، بأن الله قد جاء إلى العالم لكي يخلّص العالم في يسوع المسيح (يو ٣: ١٦؛ أع ٢: ٣٨). وفي أحيان أخرى قد «يتجدد» الناس أثناء قراءتهم للكتاب المقدس أو الحديث عن يسوع المسيح مع جيرانهم (أع ٨: ٢٦-٤٠). إن «تجديدنا» هو تغيير وعينا، فهو أن يكون لدينا توجّه واعي في حياتنا لاتجاه جديد من المحبة والخدمة ليسوع المسيح.

التوبة

إن تجديدنا، أو تحولنا لاتجاه جديد، له شقين. الأول، هو التوبة، فقد سمعنا جميعنا الصرخة القائلة «تب!»، والتوبة هي مصطلح كتابي يعني تغيير اتجاه فكرنا وحياتنا. إنها تعني أسفنا على خطيتنا وندمنا على الخطأ الذي اقترفناه في نظر الله. كما أنها تعني أن «يترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره» (إش ٥٥: ٧). عندما نادى يوحنا المعمدان «بمعمودية التوبة»، قال إن الناس يجب أن «يصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة». وفي إجابته على سؤال عما يجب أن يصنعه الناس، قال يوحنا: «من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له طعام فليفعل هكذا» (لو ٣: ١- ١٤؛ أع ٢٦: ٢٠). إنها طريقة جديدة للحياة، حياة المشاركة بدلاً من الاكتناز مثلاً، كخطوة مبدئية للتوبة. والتوبة هي الخطوة الأولى في التجديد، وهي تتميز برغبتنا في الحياة باتجاه جديد الذي يقودنا إليه تجديدنا. وعندها نرفض ونترك طرق الخطية التي عشنا فيها قبلاً ونتطلع لطرق الحياة التي يدعونا الله إليها الآن باعتبارنا أتباعًا ليسوع المسيح. إن حزننا على خطيتنا «ينشيء توبة لخلاص بلا ندامة» (٢كو ٧: ١٠). وبالتوبة ننال غفران الله لخطايانا، والتطهير الداخلي بالروح القدس، بحيث إن حزننا بسبب خطايانا ينتهي بالتعبير عن نفسه في الحياة باتجاهات وخطط جديدة، تتمثل في أن نصبح تلاميذ ليسوع المسيح، نحبه ونخدمه.

الإيمان

الجزء الثاني من التجديد هو الإيمان. فبالإضافة لحزننا على خطايانا وتصميمنا على أن تتجه حياتنا لاتجاه جديد فإننا نتطلّع ونسلك بالإيمان. ففي الخلاص، كل شيء يعتمد على الإيمان، كما يعتمد كل شيء على نعمة الله. فخلاصنا يأتي بالنعمة

من خلال الإيمان. والإيمان هو الوسيلة التي بها يتم تحقيق الولادة الجديدة، والتي بها يتشكّل تجديدنا. والإيمان هو الثقة في موت يسوع المسيح على الصليب على أنه الوسيلة التي بها يغفر الله لنا خطايانا ويثبتنا في الخلاص بعلاقة جديدة مع الله ومع الآخرين. إن الإيمان هو الوسيلة التي يتم بها التعبير عن تجديدنا، وهو عطية الروح القدس التي تمكّننا من قبول بركات الخلاص لنا نحن شخصيًا. والإيمان هو اتجاه يغرسه فينا الروح القدس لكي يمكّننا من الثقة في يسوع المسيح لأجل خلاصنا ولكي نحيا حياة الطاعة لمشيئته وإرشاده.

إن الإيمان هو سمة ثورية، لأنه يميز أسلوب الحياة، فهو يؤثر على كل نواحي حياتنا. فإيماننا في يسوع المسيح يعيد توجيه أفكارنا ومشاعرنا وأفعالنا (رؤوسنا، وقلوبنا، وأيدينا).

الإيمان هو اتجاه يغرسه فينا الروح القدس لكي يمكّننا من الثقة في يسوع المسيح لأجل خلاصنا ولكي نحيا حياة الطاعة لمشيئته وإرشاده.

وبالإيمان نستطيع أن نفهم ما فعله الله لنا في المسيح. يعرّف چون كالڤن الإيمان بأنه «معرفة أكيدة وثابتة بإحسان الله نحونا» (المبادئ ٣، ١،٤). فمن خلال الإيمان ننال معرفة أكيدة بأن الله «لنا» في يسوع المسيح، وبغفران الخطايا في يسوع المسيح. يمكننا أن نعرف ونؤمن أنه «ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا»، وأن هذا هو دليل محبة الله لنا (رو ٥: ٨). وهكذا تسترد أذهاننا مرة أخرى، فإننا لم نَعُد أعداء لله، بل قد تصالحنا معه بصليب المسيح (أف ٢: ١- ١٠؛ كو ١: ٢٠؛ ٢: ١٤). إننا نؤمن أن لحياتنا معنى وهدفًا، ونؤمن أن الله قد جاء لكي يعيش بيننا ويوضّح لنا كيف نحيا. لقد أصبح حق الله شخصًا في يسوع المسيح الذي هو «الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٦).

كما أن مشاعرنا ورغباتنا أيضًا تشهد ثورة بالإيمان بيسوع المسيح. فعندما ندرك مدى سعة وعظم نعمة الله، ومدى عمق محبة الله في صليب المسيح، وقوة قيامة المسيح لغلبة الخطية والموت ولجعل وعد الحياة الأبدية حقيقة واقعة، فإننا نصاب بالذهول! فقلوبنا تتغير بفعل الشعور الغامر بنعمة الله التي تدعونا وتجددنا وتأتي لنا بالمحبة والفرح والسلام. كما يعبّر الرسول بولس عن ذلك قائلاً، «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو ٥: ١). إن إيماننا يعطينا اليقين بأن حياتنا «مستترة مع المسيح في الله» (كو ٣: ٣)، وأنه لا يوجد في كل الخليقة – لا قوى ولا أحداث ولا شر – «تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨: ٣٩).

كما أن عطية الإيمان تفتح لنا أيضًا معان وأهدافًا جديدة لحياتنا. فإننا نعيش الآن باتجاه الثقة في الله بدلاً من البعد والانفصال عنه. كما أننا نجد معنى وأهمية وجودنا في كوننا أبناء الله الذين تبناهم في عائلته، والذين يعيشون بحسب مشيئة الله في المسيح، بدلاً من البحث عن معنى في أنفسنا وفي إنجازاتنا الشخصية. ومن خلال الإيمان يمكننا أن نعيش في حرية من الخطية والذنب، وأن نخدم المسيح والآخرين بصورة كاملة في هذا العالم من خلال جهودنا، بدلاً من مجرد محاولة تجميع وتكديس المال والممتلكات لأنفسنا.

الاتحاد بالمسيح

يأتي الخلاص لنا بواسطة نعمة الله. فمن خلال الإيمان نتحد بيسوع المسيح بقوة الروح القدس. وهذه الوحدة مع المسيح هي العلاقة الأساسية التي ينالها الشعب المسيحي بالخلاص. فقد تحدث يسوع عن أنه الكرمة وأن تلاميذه هم الأغصان فقال، «اثبتوا فيّ وأنا فيكم». (يو ١٥: ٤–٥). فإن من لديهم علاقة

مع يسوع المسيح بالإيمان هم أعضاء في جسد واحد مع المسيح الذي هو رأسهم (أف ٤: ١٥- ١٦). يعبّر كالڤن عن ذلك ببساطة بقوله: «عندما ينيرنا المسيح للإيمان بقوة روحه، فإنه في نفس الوقت يطعّمنا في جسده بحيث نصبح شركاء في كل ما هو صالح» (المبادىء ٣,١١,١٠). إن اتحادنا مع المسيح بالإيمان هو الطريقة التي نشترك بها في البركات التي قد كسبها لنا المسيح بالخلاص. هذه هي الوحدة الشخصية التي من خلالها نختبر حضور المسيح على أنه «سكنى المسيح في قلوبنا (المبادىء ٣,١١,١٠). ويطلق على هذا الأمر أحيانًا «الاتحاد الروحي»، فنختبر حضور المسيح وبركاته إذ «قد أصبح المسيح لنا، وجعلنا شركاء معه في العطايا التي منحت له... فإننا نلبس المسيح ونطعّم في جسده... وهو يتنازل ويجعلنا واحدًا معه» (المبادىء ٣,١١,١٠). تتحدث هذه الكلمات بأقوى ما يمكن عن وحدة المؤمن مع المسيح بأنها شديدة العمق والقرب بحيث يتغلب بره على خطيتنا ويحيا هو فينا كما نحيا نحن فيه. هذه هي المشاعر التي عبّر عنها بولس الذي كتب قائلاً، «لأني مت بالناموس للناموس لأحيا لله. مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي». (غل ٢: ١٩- ٢٠). إن وحدتنا مع المسيح بالإيمان هي أعمق حقيقة يمكننا أن نعرفها وأهم علاقة يمكن أن نتمتع بها على الإطلاق.

«إننا نلبس المسيح ونطعَّم في جسده وهو يتنازل ويجعلنا واحدًا معه» چون كالڤن.

الخلاص بالإيمان

إن وحدتنا مع المسيح من خلال الإيمان هي خلاصنا. والإيمان هو الوسيلة التي بها يصبح الخلاص واقعًا بالنسبة لنا. خلال الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر، كان من أهم المفاهيم الرئيسية لمارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦)

وللاهوتيين المصلحين بعده هو أننا قد خلصنا «بالإيمان وحده». وهذا يعني أنه على أساس الإيمان بيسوع المسيح وحده يتم قبول الخلاص. فنحن البشر لا يمكننا أن نفعل أي شيء على الإطلاق لكي نحصل عليه، أو نستحقه، أو نحققه. فنحن قد «تبررنا بالإيمان» (رو ٥: ١) على أساس نعمة الله وحدها.

كان المصلحون البروتستانت يؤمنون أن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في ذلك الوقت تعلّم أن الخلاص يتم تحقيقه بواسطة الإيمان – المعرّف بأنه الإيمان بما كانت الكنيسة تعلمه – بالإضافة إلى «الأعمال الصالحة». فكانت الأعمال الصالحة وسيلة لنوال الاستحقاق في نظر الله، وهكذا يشارك المؤمنون في خلاصهم بإسهامهم «بدورهم» إذ يقومون بعمل أعمال صالحة لزيادة استحقاقهم أمام الله. وقد أدى هذا إلى نشأة الفكرة العامة السائدة القائلة بأنك إذا «عشت حياة صالحة، وقمت بأعمال صالحة» فإنك ستدخل السماء عندما تموت.

لكن المشيخيين، بجانب البروتستانت الآخرين، يرفضون المعادلة القائلة: الإيمان + الأعمال ← الخلاص. فعلى أساس العهد الجديد والطريقة التي كان الله يعمل بها في كل أنحاء الكتاب المقدس، نحن نؤمن بأننا قد «تبررنا» أمام الله ليس بواسطة أية أعمال نعملها ولكن فقط على أساس بر يسوع المسيح. فموت المسيح على الصليب هو الطريقة التي تواصل بها الله معنا ووصل إلينا لكي يخلّص من يؤمنون. ونحن نقبل الخلاص على أنه عطية مجانية لنعمة الله من خلال الإيمان بيسوع المسيح الذي يهبه لنا الروح القدس. فالمسيح وحده هو الذي يخلصنا، بنعمة الله وحدها، ومن خلال الإيمان فقط.

ولكن الخلاص لا يتوقف عند هذه النقطة. فالمشيخيون يؤمنون، مع بقية البروتستانت،

أننا بمجرد اعترافنا بيسوع المسيح ربًا ومخلصًا وبمجرد اتحادنا بالمسيح بالإيمان، فإن علاقتنا بالمسيح ستقودنا للقيام «بأعمال صالحة» تخدم المسيح وتعطي المجد لله. فنحن نقوم بهذه الأعمال، من محبة وعدل ورحمة، بدافع الامتنان للخلاص الذي أعطي لنا في المسيح. فنحن نخدم المسيح وجيراننا في هذا العالم ليس لأجل أن نحصل على الخلاص، ولكن نتيجةً لنوالنا الخلاص. وهذا فإن أعمالنا الصالحة في خدمة المسيح تظهر استجابتنا المحبة للمحبة التي اختارتنا لأجل الخلاص من خلال ابن الله. وهكذا فإننا في تقليدنا البروتستانتي والمشيخي، تكون المعادلة كالآتي: الخلاص ← الإيمان + الأعمال الصالحة. فأعمالنا تتبع الخلاص كوسيلة لإظهار شكرنا وامتناننا لله. يشير عقائد إيمان هيلفيتيك الثاني إلى أنه «من الضروري أن تنبع الأعمال من الإيمان» (العقائد ٥,١١٩) فإننا نطيع ناموس الله لكي نبين التزامنا بتبعية مشيئة الله، وليس كوسيلة لمحاولة الحصول على الخلاص بمجهوداتنا الشخصية.

> إيماننا بأن خلاصنا مؤسس بالكامل على اختيار نعمة الله لنا وأنه عطية مجانية لنا بالروح القدس الذي يمنحنا الإيمان بيسوع المسيح يحررنا لكي نحيا حياة الطاعة المفرحة في هذا العالم.

إن إدراكنا للاختلاف بين هاتين النظرتين للخلاص يمكن أن يصنع فارقًا عظيمًا بالنسبة لنا. إيماننا بأن خلاصنا مؤسس بالكامل على اختيار نعمة الله لنا، وأنه عطية مجانية لنا بالروح القدس الذي يمنحنا الإيمان بيسوع المسيح، يحررنا لكي نحيا حياة الطاعة المفرحة في هذا العالم. إننا لا نزال نخطىء، فأعمالنا لا نقوم بها بطهارة كاملة ولا بدوافع غير أنانية تمامًا، ولكننا نعترف بخطايانا، والله يغفر لنا، ونتوب عن خطايانا، ثم نعود للاتجاه الذي تحولنا إليه في التجديد، ونصمم أن نبتعد

عن الخطية وأن نتبع طريق المسيح، فنعيش يومًا فيومًا بنفس الإيمان الذي يخلصنا من خلال قوة الله العاملة فينا (أف ٣: ٢٠).

الثبات

واحدة من الآراء المميزة للمشيخيين هي أن من يؤمنون بيسوع المسيح للخلاص لن يفقدوا خلاصهم أبدًا. يطلق على هذا الأمر أحيانًا «ثبات القديسين» («القديسون» هو تعبير العهد الجديد عن المؤمنين المسيحيين، انظر مثلاً، ١كو ١: ٢؛ أف ١: ١). وقد قال يسوع، «وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي» (انظر يو ١٠: ٢٨-٢٩). إن القوة المستمرة للروح القدس في المؤمنين تكون عاملة فينا طوال حياتنا، فقد أعطانا الروح القدس هبة الإيمان، ويستمر الروح القدس في حضوره في حياة المؤمنين، كما أن الروح القدس سيكمل عمل الله الخلاصي فيمن يؤمنون به. وقد كان هذا هو يقين بولس الرسول الذي كتب، «واثقًا بهذا عينه أن الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحًا يكمّل إلى يوم يسوع المسيح» (في ١: ٦).

أما بعض التعاليم الأخرى، مثل تعاليم الميثوديست وبعض المعمدانيين، فتقول أن أولئك الذي آمنوا يمكن أن يفقدوا خلاصهم من خلال «العصيان» أو «الارتداد»، فينحرفون إلى عدم الإيمان. لكن المشيخيين يؤمنون بأن أولئك الذين يعيشون في هذه الحالة من العصيان، والذين ربما قد اعترفوا ذات مرة بالإيمان المسيحي ثم رفضوه بعد ذلك، لم يكن لديهم إيمان حقيقي أصيل بالمسيح منذ البداية. فإيمانهم كان «مؤقتًا» فقط، فلم يكن الإيمان الحقيقي الذي يخلّص. إننا لا يجب أن نفكر مطلقًا في أننا يمكن أن نخطىء بصورة عشوائية لأننا «خلصنا مرة، وللأبد»، لأننا

لا يمكن أن نؤمن أننا يمكن أن «نبقى في الخطية لكي تكثر النعمة» (رو ٦: ١)، بالطبع لا! فإن هذا لا يظهر إلا أن إيماننا لم يكن حقيقيًا. ولكننا يمكن أن نثق أن الله الذي اختارنا وخلّصنا سوف يحملنا أيضًا ويثبتنا للأبد في الخلاص الذي منحه لنا مجانًا (عب ١٠: ٢٣).

عمل الله

بينما يشترك المشيخيون في كثير من الآراء مع تعاليم بقية الطوائف المسيحية الأخرى عن طبيعة الخلاص، إلا أن هناك بعض التعاليم المحددة أيضًا التي تميز المعتقدات المصلحة أو المشيخية.

إحدى الطرق لتلخيص هذه المعتقدات هي أن ندرك أن المشيخيين يركزون أيضًا على مبادرة الله، فالله هو الذي يقوم «بالخطوة الأولى»، ويظهر هذا بصورة خاصة في عملية الخلاص. لقد رأينا هذا في عقائد الإعلان والتجسد والاختيار – وكذلك أيضًا في الخلاص حيث يدرك المؤمن أن الله هو الذي يعمل قبل أي عمل أو تحرك من جانبنا. يركز المشيخيون على أن الميلاد الجديد يسبق التجديد والإيمان. فنحن لا نأتي «بإيماننا» لله، ولكننا نقبل الإيمان من الله من خلال الروح القدس. فعمل الله هو الذي يلدنا ثانية ويجددنا ويغيرنا ويقودنا للتوبة وينشىء فينا الإيمان. روح الله يوحّدنا مع يسوع المسيح لكي نعيش حياة الإيمان، كما أن قوة الله نفسه هي التي تحفظنا، وهكذا يثبّتنا الله في صبر ومثابرة الإيمان إلى الحياة الأبدية. ففي الخلاص يرجع المجد كله لله، لأننا «قد خلصنا بنعمة وفضل المسيح وحده» (العقائد ٥,١١٩).

أسئلة للمناقشة

-١ ما أهمية «الخلاص بالنعمة» بالنسبة للمشيخيين؟

-٢ لماذا يركز المشيخيون على أن الخلاص يتم نتيجة مبادرة الله؟

-٣ هل كانت هناك نقطة محددة في حياتك اختبرت فيها عن وعي «الميلاد الثاني» أو «التجديد»؟

-٤ ماذا يعني «الإيمان» بالنسبة لك؟

-٥ ما هي التعزيات والتحديات في الإيمان بعمل الله في «تثبيت» خلاصنا؟

الجزء الثالث

الكنيسة.. حيث يبدأ الإيمان ويتغذى وينمو

(١١)
الكنيســـة

يخلق روح الله القدوس الإيمان فينا وفي الآخرين، وعمل خلق الإيمان في الكثيرين من الناس هو عمل الروح في دعوة وتجميع كنيسة يسوع المسيح معًا. الكنيسة هي جماعة الإيمان، وهي شعب الله الذي تجمّع معًا من كل الجنسيات والأنواع والمناطق الاقتصادية المختلفة، بالعمل المشترك لروح الله في خلق الإيمان. والإيمان هو الثقة، وهو قبول العطية المجانية للخلاص بنعمة الله. فالإيمان هو تصديق أن يسوع المسيح قد مات لأجل خطاياي، وهو القبول والاستجابة الشخصية لرسالة الإنجيل.

إننا نسمع رسالة الإنجيل في وسط شعب الله، الذين هم أشخاص آخرون مؤمنون، أي الكنيسة المسيحية. فالكنيسة هي الجسد المشترك للمؤمنين، الذين دعاهم الله، وجمعهم الروح القدس معًا لكي يعيشوا كشعب الله وكتلاميذ ليسوع المسيح في العالم. تركز نظرة المشيخي للكنيسة على مبادرات الله في الخلاص، وفي دعوة من لديهم إيمان إلى جسد واحد، هو الكنيسة. وهذه هي الطريقة التي تنتشر بها رسالة الإنجيل بالخلاص في كل أنحاء العالم.

تركز نظرة المشيخي للكنيسة على مبادرات الله في الخلاص، وفي دعوة من لديهم إيمان إلى جسد واحد، هو الكنيسة. وهذه هي الطريقة التي تنتشر بها رسالة الإنجيل بالخلاص في كل أنحاء العالم.

يجب على المشيخيين أن يكونوا نشطين ومتحمسين للتبشير، فنحن نقوم بالتبشير وبإعلان إنجيل يسوع المسيح بقوة لأننا ندرك أنه عن طريق شهادتنا بالتبشير يمكن للروح القدس أن يعمل لكي يأتي بالآخرين للإيمان بيسوع المسيح ربًا ومخلصًا. فنحن نبشر ونعلّم الإنجيل بنشاط، ليس لأنه بواسطة مجهوداتنا يمكن لأي إنسان أن يخلص، ولكن لأنه بواسطة مجهوداتنا يمكن أن يتم وصول رسالة الخلاص لحياة الناس. فالله، عن طريق الروح القدس في الكنيسة، هو الذي ينشىء الإيمان ويأتي بالآخرين إلى شركة الكنيسة في جسد المؤمنين. لذلك يجب أن يكون التبشير قويًا في كنائسنا في التقليد الإصلاحي والمشيخي.

شعب العهد

إننا نسمع رسالة الإنجيل في محيط الكنيسة، ونرى أنفسنا في الكنيسة على أننا امتداد لشعب الله الذي يستمر في عيش علاقة العهد التي دخلها الله معنا في يسوع المسيح. يركز المشيخيون على أن الله يعمل مع شعب. فنرى في الكتاب المقدس أن الله كان يسعى دائمًا للتعامل مع جماعة، فقد أسس الله علاقات مع البشر، ودخل معهم في هذه العلاقات عن طريق إقامة عهود معهم. فكّر في كل العهود الكتابية. فهناك العهد مع نوح، الذي فيه تعهّد الله بألا يهلك الأرض بالطوفان مرة أخرى (تك ٦). كما كان هناك عهد مع ابراهيم وسارة، والذي وعدهما الله فيه بالبركة والنسل (تك ١٢). وهناك أيضًا العهد الذي قطعه الله مع شعب إسرائيل عندما أعطاهم الناموس، الوصايا العشر، على جبل سيناء. ثم وعد الله بعد ذلك أن يكون إلهًا لإسرائيل، وتعهّد شعب اسرائيل بأن يكون هو شعب الله. ثم كان هناك العهد مع داود، الذي فيه وعد الله بمجيء المسيا من نسل داود (٢صم ٧: ١٢-١٧؛ ١مل ٩: ٥؛ ١أخ ١٧: ١٢-١٥؛ ٢أخ ٧: ١٨). وها هو تحقيق ذلك الوعد الأعظم

بالمسيا – الذي نؤمن نحن المسيحيون أنه يسوع المسيح. فقد أشار يسوع إلى نفسه بأنه هو «العهد الجديد» – الذي هو الطريق الجديد الذي تواصل به الله مع البشر مرة واحدة وإلى الأبد (لو ٢٢: ٢٠؛ ١كو ١١: ٢٥؛ إر ٣١: ٣١).

في الكنيسة، نرى أنفسنا امتدادًا لشعب الله، إسرائيل الجديد، شعب العهد الذين انضموا واشتركوا معًا واتحدوا مع الله من خلال يسوع المسيح. الكنيسة هي شعب عهد الله التي بالإيمان قد اتحدت في يسوع المسيح. وبسبب إيماننا فإننا نسعى لخدمة الله باعتبارنا أتباعًا لربنا ومخلصنا يسوع المسيح. فنحن لا نحيا حياة الإيمان بمفردنا، بل أن الإيمان الحقيقي بالمسيح يدفعنا للشركة مع آخرين ممن يعترفون هم أيضًا بالمسيح كرب لهم. وهكذا نجد أنفسنا معًا كشعب للعهد في الكنيسة – حيث يبدأ الإيمان ثم يتغذى وينمو. فلا توجد مسيحية «الجندي المنفرد»، فلا يستطيع أحد أن يعيش الحياة المسيحية بمفرده تمامًا، إذ أن الاختبار المسيحي الحقيقي يكون بالانجذاب إلى الشركة مع آخرين يشاركون معنا الإيمان ويلتزمون أيضًا معنا بتحقيق المأمورية العظمى وبخدمة يسوع المسيح في هذا العالم.

الكنيسة هي شعب عهد الله التي بالإيمان قد اتحدت في يسوع المسيح. وبسبب إيماننا فإننا نسعى لخدمة الله باعتبارنا أتباعًا لربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

الكنيسة المنظورة

إن الكنيسة، باعتبارها جسد المؤمنين الذين يمكننا أن نراهم حولنا، يطلق عليها «الكنيسة المنظورة». وهذه هي الكنيسة التي تفتح أبوابها لجميع الداخلين إليها، فكل من يعترف بيسوع المسيح ربًا ومخلصًا يتم الترحيب به في الكنيسة. وهذا هو

المطلب الوحيد للانضمام إلى عضوية الكنيسة المشيخية: الإيمان بيسوع المسيح. فعندما يُشهِر الناس إيمانهم بيسوع المسيح علنيًا، يتم طرح هذا السؤال عليهم: «من هو ربك ومخلصك؟» فيجيبون: «يسوع المسيح هو ربي ومخلصي». وهكذا لا يوجد مطلب آخر للانضمام للعضوية، بأن يكون الشخص مثلاً من جنس ما أو من نوع ما أو من وضع اقتصادي معين في المجتمع. كما لا يوجد طلب لمستوى معين من الذكاء أو من التطور أو من المرتبة الاجتماعية أو من الثقافة. كلا، لا يوجد سوى مجرد الإيمان. الإيمان وحده، وهكذا خلصنا، وهذه هي الطريقة التي بها نأتي إلى جسد المؤمنين. وهكذا فالكنيسة المنظورة هي هيكل من المؤمنين الذين يعترفون علانية بإيمانهم بيسوع المسيح.

من خلال الكنيسة المنظورة تتشكّل إرسالية الله وخدمته في هذا العالم. تنص عقائد إيمان عام ١٩٦٧ على أنه «لكي تكون متصالحًا مع الله فهذا معناه أن ترسل إلى العالم باعتبارها شعبه المصالح» (٩,٣١). فقد «استؤمنت الكنيسة على رسالة الله بالمصالحة»، وهي تشهد عن محبة الله ونعمته في يسوع المسيح. الكنيسة هي المكان الذي منه تخرج الخدمة والإرسالية المسيحية بعمل الروح القدس. فنحن نحقق إرسالية الكنيسة من خلال شهادة الكنيسة المتحدة عن المسيح في المجتمع، فنخدم باسم المسيح بكل ما نفعله بكوننا تلاميذًا لمعلمنا وسيدنا. أن نكون جزءًا من الكنيسة المنظورة يعني أن نكرس أنفسنا للشهادة لإنجيل المسيح ولما عمله الله في المسيح ولخدمة الله مع الإخوة والأخوات في الإيمان. هذه الخدمة هي إرسالية الكنيسة للعالم، إذ تسعى لكي تكون الممثل المنظور ليسوع المسيح. كما أن روح الله يحفظنا ويساندنا، وهو الذي يؤهل ويعدّ الكنيسة، ويمنح كل مؤمن مواهبًا للخدمة.

الكنيسة غير المنظورة

كما أدرك اللاهوت المشيخي أيضًا وجود «كنيسة غير منظورة». والكنيسة غير المنظورة هي الكنيسة الحقيقية، والمعروفة لدى الله وحده. فالكنيسة غير المنظورة تتكون من أولئك الذين اختارهم الله والذين لديهم إيمان حقيقي بيسوع المسيح. ومن المهم التمييز بين الكنيسة المنظورة والكنيسة غير المنظورة. فهناك مشكلة عملية رعوية وهي أنه في كثير من الأحيان ينضم الناس إلى كنيسة ما ويعترفوا بإيمانهم، ولكنهم بعد ذلك يسقطون ويبتعدون ولا يعودون لممارسة إيمانهم فيما بعد. فبعض الناس قد يقومون باعتراف علني بالإيمان ولكنه لا يكون مُخلِصًا أو حقيقيًا. والبعض قد ينضمون إلى الكنيسة فقط لأنهم يرون أنه أمر مناسب أو لأنه يبدو «شيئًا جيدًا» أو للحصول على مكانة ما في المجتمع. فإن كان اعترافنا بيسوع المسيح يتم نتيجة لهذه الأمور، فإننا نخدع أنفسنا والآخرين، ولكننا لا نستطيع أن نخدع الله. ففي النهاية، ستكون الكنيسة غير المنظورة هي الكنيسة الحقيقية المكونة من المختارين من المؤمنين الحقيقيين. إنها الكنيسة في كل الأجيال، أو ما نطلق عليه في قانون الإيمان الرسولي «شركة القديسين». فالكنيسة غير المنظورة هي أولئك الذين يعترفون بالحق بإيمانهم بيسوع المسيح، والذين يعيشون تكريسهم للمسيح بقوة الروح القدس في حياتهم.

لذلك فلابد أن نكون شديدي الحذر في إصدار الأحكام بشأن الآخرين وبشأن أصالة إيمانهم. فلا يرجع إلينا أمر تحديد من الذين سيخلصهم الله. فأبواب عضوية الكنيسة مفتوحة لجميع من يرغبون في الاعتراف العلني بإيمانهم بيسوع المسيح، سواء كان اعترافهم هذا أصيلاً وحقيقيًا أم لا، وسواء كانوا سيتابعون السلوك في

الحياة المسيحية تلاميذًا ليسوع المسيح أم لا، فهذا الأمر ليس من حقنا أن نحكم فيه أو أن نحدده. الله وحده هو الذي يعلم على وجه اليقين من هم المؤمنون الحقيقيون. كما أننا نحن باعتبارنا مسيحيين يجب أن نكون متضعين في التفكير بشأن أنفسنا، فيجب ألا نفكر مطلقًا في «الافتخار» بإيماننا، كما أننا لا نستطيع أن نقوم بتقييم الآخرين أو بالحكم عليهم. فبمجرد أن نبدأ في الافتخار أو في الحكم على الآخرين بشأن خلاصهم، فإننا بذلك نلقي بظلال من الشك على أصالة إيماننا في المقام الأول. فقد حذّر يسوع بالقول، «لا تدينوا لكي لا تدانوا» (مت ٧: ١). فالله وحده هو الذي يعرف القلب (١صم ١٦: ٧؛ مز ٤٤: ٢١؛ أع ١٥: ٨).

إن الكنيسة غير المنظورة معروفة لدى الله وحده. وهي تتكون من كل من الأحياء والذين ماتوا قبلنا من المؤمنين الحقيقيين بالمسيح عبر الأجيال والأزمنة – الماضية والحاضرة والمستقبلة – كل هؤلاء يشكّلون الكنيسة غير المنظورة. فجميع القديسين القدماء منذ زمن الكتاب المقدس وحتى الكنيسة الأولى، والعصور الوسطى، وعصر الإصلاح وحتى الآن، هم جميعهم أعضاء في الكنيسة غير المنظورة. فقد رحلوا قبلنا وساروا أمامنا مؤمنين بيسوع المسيح. كما أن كنيسة الغد، وكل من سيأتون بعدنا، أبناؤنا وأحفادنا، والملايين ممن سيولدون بعد ذلك – يشكّلون جميعًا الكنيسة غير المنظورة أيضًا. فإنهم سيأتون بعدنا كمؤمنين بيسوع المسيح. وهذا هو ملء واكتمال «شركة القديسين». وهكذا فلدى المسيحيين المشيخيين «نظرة شاملة» للكنيسة، فالمختارون من كل العصور، والمعروفون فقط لدى الله، هم الكنيسة الحقيقية الكاملة.

المسيحيون هم أعضاء في الكنيسة المنظورة» الكنيسة الخارجية وفي «الكنيسة غير المنظورة» المختارين من الله عبر كل العصور.

سمات الكنيسة

المسيحيون هم أعضاء في «الكنيسة المنظورة»

- الكنيسة الخارجية - وفي «الكنيسة غير المنظورة» - المختارين من الله عبر كل العصور. لذلك فإننا نسأل، أين توجد الكنيسة؟ أين نكتشف الكنيسة؟ لقد أجاب كالڤن والتقليد المشيخي إجابة مثالية على هذا السؤال بالقول إن الكنيسة توجد حيث يتم التبشير بكلمة الله وحيث تقام الأسرار المقدسة بطريقة سليمة (انظر المبادىء ٤,١,٩). في بعض التعاريف اللاهوتية، تضاف سمة أخرى، أو علامة أخرى للكنيسة: حيث يتم الحفاظ على النظام والتهذيب (العقائد ٣,١٨). وتهذيب الكنيسة أو النظام الكنسي هو الطريقة التي تنظم بها الكنيسة حياتها في طاعة لكلمة الله، لأجل تحقيق خدمتها. ترشدنا هذه السمات إلى بعض الأنشطة المهمة للكنيسة، خاصة إلى تبشيرها، وإلى ممارسة أسرارها المقدسة.

التبشير: إحدى سمات الكنيسة في اللاهوت المشيخي هي أن الكنيسة توجد حيث يتم الوعظ بكلمة الله. فقد كان للمسيحيين المشيخيين دائمًا نظرة شديدة السمو والتقدير للوعظ. وهذا يعني أننا نعتبر عملية الوعظ أمرًا ذا أهمية فائقة. فالوعظ أمر مهم لأنه الوسيلة التي يستخدمها الله لنشر رسالة الإنجيل، رسالة يسوع المسيح. كتب بولس قائلاً، «الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله» (رو ١٠: ١٧). فعند الوعظ، يصبح يسوع المسيح موجودًا بالنسبة للسامعين. فما هو الحدث الأكثر أهمية من ذلك الذي يمكن أن تتخيله؟ إن الوعظ هو هبة من الله، لأنه من خلال هذا العمل والنشاط البشري يتم عمل إلهي آخر. ففي الوعظ، يصبح يسوع المسيح معروفًا وحاضرًا، وتظهر وتنكشف حقيقة يسوع المسيح. إننا ننظر للوعظ بمثل هذه الأهمية الشديدة حتى أنه في أحد كتب عقائد الإيمان، كتاب عقائد إيمان هيليفيتيك الثاني الذي كتب عام ١٥٦٦، يقول: «إن الوعظ بكلمة الله هو كلمة الله» (العقائد ٥,٠٠٤). فالوعظ هو شكل من أشكال كلمة الله، إن الوعظ هو إعلان كلمة الله - أي إعلان

شخص يسوع المسيح كما هو معروف في الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله أيضًا. يشير اللاهوتي كارل بارت إلى الأشكال الثلاثة لكلمة الله، فيقول، هناك الكلمة المتجسّد، الذي هو يسوع المسيح. وهناك الكلمة المكتوبة، التي هي الكتاب المقدس. وهناك الكلمة المعلنة المذاعة شفهيًا، التي هي الوعظ بيسوع المسيح. وكل من هذه الأشكال الثلاثة متداخلة ومرتبطة ببعضها البعض. فكلمة الله الحي المتجسّد يسوع المسيح، يصبح معروفًا بالنسبة لنا من خلال الكتاب المقدس ومن خلال الوعظ. والكلمة المكتوبة، أي الكتاب المقدس، تشهد للكلمة المتجسّد، يسوع المسيح، والذي يكون موجودًا وحاضرًا من خلال الوعظ. فالكلمة الموعوظ بها تشهد للكلمة المتجسّد، يسوع المسيح، كما أنها مؤسسة على الكلمة المكتوبة، الكتاب المقدس. ولذلك فإن الوعظ هو عمل شديد الأهمية. فإننا نؤمن أنه كلما تم إعلان ونشر الكتاب المقدس، فإن حضور الله وقوته يصبح واقعًا حقيقيًا لمن يسمعون بعمل الروح القدس، فيصبح يسوع المسيح معروفًا.

حياة الناس يمكن أن تتغير من خلال الوعظ. ويمكن للإيمان أن يبدأ وينمو ويتغذى.

هذا يعني أن حياة الناس يمكن أن تتغير من خلال الوعظ، ويمكن للإيمان أن يبدأ وينمو ويتغذى. ومع ذلك فلا تستطيع عظة أن تحقق كل هذا في حد ذاتها أو بمفردها، ولكن الروح القدس هو الذي يوقظ الإيمان وهو الذي يجعل الإيمان ينشأ وينمو ويتغذى من خلال التبشير بالكلمة. لذلك فالوعظ، من ناحية، هو من أكثر الأعمال رهبة وجلالاً لأنه عمل إلهي. فمن خلال هذا يعني أن حياة الناس يمكن أن تتغير من خلال الوعظ، ويمكن للإيمان أن يبدأ وينمو ويتغذى. يمكن أن تحدث ثورة كاملة في حياة الإنسان. هو عمل شديد البشرية، لأن العظات يجب أن تكون مفهومة ومكتوبة

ومنقولة بواسطة الوعَّاظ. لكن لا يمكن لأي من هذه الأمور أن يتم بصورة متقنة وكاملة من وجهة النظر البشرية، وهذا لأن كل واعظ يقوم بالوعظ ولديه إحساس كامل بمحدوديته البشرية. لكن الأخبار السارة هي أن الله يستخدم المجهودات البشرية، حتى عندما تقصّر كثيرًا عما يمكن أو عما يجب أن تكون عليه، لكي يوصّل حق رسالة يسوع المسيح، وهكذا تتم الأعمال الإلهية من خلال البشر. ففي الوعظ يمكن سماع صوت الله الإلهي من خلال الكلمات البشرية للواعظ.

الفرائض المقدسة: السمة الثانية للكنيسة هي أن الكنيسة توجد حيث تقام الفرائض المقدسة بصورة سليمة. فالكنيسة هي حيث يبدأ الإيمان المسيحي ويتغذى وينمو. يبدأ الإيمان في الكنيسة من خلال روح الله، الذي يجذب ويجمع الناس معًا – الناس الذين دعاهم الله أو اختارهم ليكونوا جسد المسيح، شعب الله الجديد، شركة المؤمنين في هذا العالم. وعلامةً على هذا الإيمان، شرّع الله اثنين من الفرائض المقدسة في الكنيسة، وهاتان الفريضتين هما وسيلة يتغذى بها إيماننا.

يعترف المشيخيون في التقليد المصلح باثنين من الفرائض المقدسة وهما المعمودية والعشاء الرباني. وهذه الفرائض المقدسة هي أمر متميز، فهي عطايا يهبها لنا الله لتقوية وتغذية إيماننا. وهي علامات خارجية ومرئية تعبّر عن حقيقة غير مرئية. من خلال هذه الفرائض المقدسة تمنح لنا بركات الإنجيل، وهذا هو السبب في أننا نطلق على الفرائض المقدسة «وسائط النعمة»، إذ أن الله يستخدمها لكي يوصل لنا نعمته.

لقد تم استخدم تشبيهان لوصف الفرائض المقدسة في التقليد المشيخي، فالأسرار هي علامات كما أنها أختام.

١- الفرائض هي علامات. نرى في الفرائض المقدسة إنجيل يسوع المسيح أمام أعيننا مباشرة. ففي المعمودية نرى الماء الذي يمثّل تطهير خطايانا والحياة الجديدة بالإيمان بالمسيح. وفي العشاء الرباني، نرى الخبز والخمر، اللذان هما جسد المسيح ودمه المقدمان لنا ذبيحة لأجل خطايانا، حتى ننال الغفران والمصالحة والحياة الجديدة. إن العناصر الخارجية للفرائض المقدسة – التي هي الماء والخبز والخمر – هي علامات على محبة الله ونعمته ورغبته في أن يأتي بنا إلى علاقة أعمق معه. وعندما نشترك في الفرائض المقدسة، فإننا نعطي علامة لكل العالم الذي يرانا بأننا منتمون لإنجيل يسوع المسيح، إذ نقول للجميع إننا ننتمي للمسيح ونشهد بإيماننا فيه. فباشتراكنا في الفرائض المقدسة نحن نرتدي شارة الإيمان: إنها علامة على إيماننا للعالم كله.

٢- الفرائض هي أختام. التشبيه هنا هو تشبيه قديم، ففي الأزمنة القديمة، كانت الوثائق التي تخرج من عند الملوك، لكي تكون رسمية وقانونية، كان لابد أن يكون عليها ختم الملك. في بعض الأحيان كان الختم يتكون من طباعة شمعية لخاتم الملك، وهكذا عندما كانت الوثيقة تختم، كانت تصبح رسمية وتحمل في طياتها كل سلطة وقوة الملك. بنفس الطريقة، إننا إذ نشترك في الفرائض المقدسة، فإننا من خلال هذه الأفعال نقبل قوة وسلطان الله في حياتنا. إن إنجيل يسوع المسيح يختم في حياتنا بالإيمان الذي هو الوسيلة التي نقبل بها الفرائض المقدسة. فعندما نؤمن بالإنجيل فإن بركات الإنجيل تختم في قلوبنا بعمل الروح القدس. إن ما فعله يسوع المسيح لأجل العالم أقبله أنا على أنه قد تم لأجلي. فإيماننا يتغذى ويتقوى بقبول بركات المسيح.

المعمودية. تتم ممارسة فريضة المعمودية باعتبارها فريضة مقدسة في إطار خدمة العبادة في الكنيسة. وعند ممارسة المعمودية يتم التبشير بكلمة الله، ويتواجد عندها الإيمان ويعمل الروح القدس لتطبيق الإنجيل على الشخص الذي يتعمّد. وعند المعمودية يتم الاعتراف بالخطية، ويتم التطهير من خلال المسيح، وتتحقق وحدة المؤمن مع المسيح، وتمنح عطية الروح القدس. فالمعمودية هي علامة على العهد مع الله، وبهذا المعنى، فهي تحل محل الختان في العهد القديم، كعلامة للشخص الذي هو جزء من جماعة عهد الله (كو ٢: ١١- ١٢). وفي المعمودية يغذي الروح القدس المؤمنين ويجعل الإنجيل مؤثرًا وفعالاً في حياتهم في جماعة العهد.

المعمودية هي مدخلنا إلى كنيسة المسيح. يشترك المشيخيون في التقليد المصلح مع الممارسة المسيحية العامة لتعميد الأطفال. وقد كانت معمودية الأطفال جزءًا مهمًا من تراثنا، فعندما نقوم بتعميد الأطفال، فإننا نقوم بذلك في حضور والدي الطفل واجتماع العبادة. وفي المعمودية، يقوم الأبوين بالتصرف نيابة عن الطفل في اعترافهما بإيمانهما بيسوع المسيح، كما أنهما يتعهدان أيضًا أن يربيا الطفل بحيث يسمع ويعرف إنجيل المسيح ويكون تلميذًا ليسوع المسيح («في تأديب الرب وإنذاره»، كما يعبر عن ذلك في اللغة القديمة). يقوم الوالدان بتقديم طفلهما كجزء من شعب العهد، مؤمنين بأن وعود الإنجيل هي لهما ولأبنائهما (أع ٢: ٣٩). كما يشترك شعب العهد أيضًا في خدمة المعمودية، إذ تتعهّد الجماعة بأن تتحمل المسئولية هي أيضًا. يتعهّد شعب الكنيسة أن يقدموا الرعاية المسيحية لهذا العضو الجديد في شعب العهد. وهذا يلزم شعب الكنيسة بأن يرعى الطفل، ويقدم له الفرص للتعليم والخدمة في المسيح، وأن يصلي لأجل الطفل لكي ينمو في حياة الإيمان. وهكذا يتم

في المعمودية الترحيب بالأطفال داخل جسد المسيح باعتبارهم أطفال العهد.

كما أن معمودية الأطفال تذكّرنا أيضًا بطريقة عجيبة بنعمة الله. فكل منا يأتي أمام الله عاجزًا مثل ذلك الطفل، مهما كان عمرنا. والله يصل إلينا باختيار النعمة لكي يأتي بنا إلى شعب العهد، الكنيسة، ولكي يعطينا هبة الإيمان، ويجعلنا شعب الله في يسوع المسيح. إن عمل الله هو الذي يخلصنا، تمامًا كما أن معمودية الطفل هي عمل يقوم به والدا الطفل لتقديم طفلهما العاجز عن خلاص نفسه. لقد خلصنا فقط من خلال نعمة الله، تمامًا كما يتم إحضار الطفل إلى جماعة الإيمان بفعل نعمة الوالدين. إننا لا نعمّد أنفسنا، لأن المعمودية هي عمل تقوم به الكنيسة لنا. وهكذا تذكّرنا معمودية الأطفال بمبادرة الله لخلاصنا.

العشاء الرباني. تأتي بنا المعمودية إلى داخل الكنيسة، حيث يبدأ الإيمان. وفي الكنيسة يتغذى إيماننا أيضًا وينمو من خلال واسطة أخرى لنعمة الله، وهي العشاء الرباني. يطلق على العشاء الرباني أيضًا مصطلحات، فريضة الشكر، أو الشركة المقدسة، أو ببساطة: الشركة. وكل من هذه المصطلحات يشير إلى ناحية محددة من العشاء الرباني، وهي أنه عمل يتم في الكنيسة وبه نتذكّر ويتغذى إيماننا بما فعله ربنا يسوع المسيح نفسه. ففي الليلة التي أسلم فيها يسوع، شرّع لنا يسوع في آخر عشاء له مع تلاميذه ما أصبحنا ندعوه بفريضة العشاء الرباني (لو ٢٢: ١٤- ٢٣). فأخذ خبزًا وخمرًا، فكسر الخبز، وقال: «هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم» ثم قال عن الخمر: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم» ثم شرّع يسوع ممارسة العشاء الرباني بقوله إن اشتراكنا في ممارسة هذه الفريضة هي وسيلة لكي نتذكّره بها، وأننا كلما أكلنا الخبز وشربنا الكأس نخبر بموت الرب إلى أن يجيء (١كو ١١: ٢٦).

إن العشاء الرباني هو عمل نعمة منحه لنا يسوع المسيح لكي يغذي إيماننا المسيحي. لقد استخدم يسوع مواد الحياة الشائعة – مثل الخبز والخمر – كوسيلة لتقوية إيماننا. وبينما نأكل الخبز ونشرب الخمر في محيط جماعة الكنيسة والوعظ بكلمة الله، فإننا نتغذى وينمو إيماننا لأننا نقبل بركات موت المسيح نيابة عنا. فكل حياة المسيح وموته وقيامته هي أفعال عملها الله تصبح واقعًا حقيقيًا وفعّالاً بالنسبة لنا بقوة الروح القدس، إذ نأكل ونشرب في العشاء الرباني، فنتلقى بركات الخلاص الذي حققه لنا المسيح.

إن العشاء الرباني هو عمل نعمة منحه لنا يسوع المسيح لكي يغذي إيماننا المسيحي لقد استخدم يسوع مواد الحياة الشائعة – مثل الخبز والخمر – كوسيلة لتقوية إيماننا.

يتواجد يسوع المسيح في خدمة العشاء الرباني، فإننا إذ نأكل ونشرب من الخبز والخمر، فإننا نفعل ذلك بالإيمان. من خلال الإيمان نؤمن أن هذه العناصر هي وسائل يستخدمها الله لكي يمنحنا بركات موت المسيح مباشرة بقوة الروح القدس. يعتبر هذا أكل وشرب «روحي» نقبله إذ نثق بوعود المسيح وأعماله. وإذ نقوم بذلك فإن إيماننا يتغذى، ويوصّل الله لنا الأخبار السارة بالإنجيل من خلال حواسنا – بواسطة السمع والرؤية والتذوّق والشم واللمس. تعتبر جميع هذه الأمور أجزاء من سر العشاء الرباني. فعندما نرى عناصر الشركة على المائدة، فإن كلمات الإنجيل ترن في أسماعنا. لكن عشاء الرب هو أكثر من مجرد «ذكرى»، أو مجرد استدعاء لحدث قديم. فبالروح القدس تصبح قوة حياة المسيح وموته وقيامته لنا، في سر الشركة، من خلال الإيمان عندما نأكل الخبز ونشرب الخمر. ففي وسط عالم لا إيمان له، نتذكّر أنه كان هناك شخص أمين لله، هو يسوع المسيح. ففي الأكل

والشرب في العشاء الرباني نقبل بركات ما فعله الله لنا إذ منحنا الخلاص، وغفر لنا خطايانا، وصالحنا مع الله ومع الآخرين.

هذا هو السبب في أننا «نحتفل» بممارسة العشاء الرباني، لأن الأكل والشرب في جماعة العهد هو عمل مفرح، مليء بالتسبيح والشكر. هل يمكنك أن تتخيل حدث أكثر تميزًا وروعة من قبول بركات الخلاص المقدم لنا بواسطة يسوع المسيح بطرق مرئية وملموسة؟ إننا بالحق نحزن ونأسف لأجل خطايانا، ولأجل جميع ما أخطأنا به ضد الله، ونتذكّر آلام صليب يسوع، عالمين أنه إذ علّق على الصليب فإنه قد علّق هناك بحمل خطايانا وخطايا العالم كله. عندما ننظر إلى الصليب فإننا نقول، «هكذا يحب الله!» وبهذه المفاهيم، فإننا نقترب من العشاء الرباني بخشوع ومهابة. ولكننا في العشاء الرباني نحن نعبّر أيضًا عن الفرح والشكر الغامر لأجل المحبة العميقة التي لا يسبر غورها والتي يكشف عنها صليب المسيح. وهكذا فإننا نحتفل بخشوع ومهابة وشكر وامتنان وفرح. إن عشاء الرب يجعل بركات موت المسيح الكفاري ونصرة قيامته حقيقة واقعة بالنسبة لنا. وهذا هو سبب عمق فرحنا. يتعجّب كاتب الترنيمة من صليب المسيح قائلاً: «إنه حب مذهل، إلهي، يتطلب روحي وحياتي وكل كياني». وهكذا بينما نأكل ونشرب في العشاء الرباني فإننا نعترف بمحبة الله المذهلة في المسيح، ونكرّس أنفسنا لكي نعيش خدّامًا وتلاميذًا للمسيح، نخدمه ونخدم الآخرين بحسب مشيئة الله بقوة الروح القدس داخلنا وبيننا في الكنيسة.

أسئلة للمناقشة

-١ لماذا يكون مفهوم «العهد» مهمًا بالنسبة للمشيخيين في فهمهم للكنيسة؟

-٢ كيف يكون من المفيد أن ندرك أن هناك كنيسة «منظورة» وكنيسة «غير منظورة»؟

-٣ هل هناك أوقات كان فيها الوعظ ذو أهمية خاصة بالنسبة لحياتك المسيحية؟

-٤ لماذا تعتبر الفرائض المقدسة مهمة بالنسبة لك؟

-٥ هل تعتقد أن الشخص يجب أن يكون عضوًا في الكنيسة لكي يكون مسيحيًا حقيقيًا؟ ولماذا؟

(١٢)
الحيـــاة المسيحية

في الكنيسة يبدأ إيماننا ويتغذى وينمو. ويطلق اللاهوتيون على نمو حياتنا في الإيمان المسيحي «التقديس». والتقديس يعني «النمو في القداسة»، وهو يعني رحلتنا المسيحية في النمو في الإيمان المسيحي. إنه عملية تبدأ بعد قبولنا للخلاص، الذي نتعلّم فيه أكثر فأكثر عن المسيح وعن مشيئة الله. إنه التزامنا باتباع مشيئة الله بالعيش حياة الخدمة لله في الكنيسة وفي العالم كتلاميذ ليسوع المسيح. التقديس يعني تطور شخصيتنا الروحية، أي طبيعة حياتنا باعتبارنا مسيحيين. فننمو في الإيمان والمحبة والرحمة والسلام والفرح والعدل وفي كل اتجاهات وطرق الحياة التي يريدها الله لنا. إن علينا أن ننمو لكي نتشبّه بصورة يسوع المسيح (أف ٤: ١٥؛ ٢بط ٣: ١٨). وفي التقديس، تتجدد طبيعتنا كلها بقوة الروح القدس، فنسعى بإرادتنا الجديدة التي منحت لنا بالخلاص لكي نتبع يسوع المسيح، ونحقق مشيئة الله، بدلاً من أن نعيش حياتنا ونحن منحصرين في أنفسنا وفي اهتماماتنا الذاتية.

التقديس يعني تطور شخصيتنا الروحية أي طبيعة حياتنا باعتبارنا مسيحيين

النمو في الإيمان

إننا ندرك أن نمونا في الإيمان يحدث من خلال عمل روح الله داخلنا. ولكن روح

الله لا يعمل بمعزل عن جهودنا البشرية. فالحياة المسيحية هي عمل روح الله داخلنا وفيما بيننا، ولكنها تتشكّل في إطار أفعالنا الشخصية، إذ نصلي ونقرأ الكتاب المقدس ونعبد الله ونشترك في حياة وإرسالية الكنيسة، ونقوم بالأشياء التي نؤمن أن الله يريدنا أن نفعلها. وعندما نقوم بهذه الأمور فإننا نشعر بقوة الله تعمل فينا وتساعد إيماننا على النمو وهكذا تأخذ حياتنا في المسيح أبعادًا جديدة.

لقد كان المشيخيون يؤمنون دائمًا بقوة التقديس. فإننا نؤمن أن الله يعمل من خلال ما نقوم به في حياتنا لكي يمكّننا من أن ننمو في النعمة والإيمان والخدمة. فنحن ننشيء المؤسسات التعليمية لأجل تطوير وتنمية العقل، كما ننشيء المستشفيات لأجل شفاء الجسد، وكذلك فإننا نقيم الكنائس لأجل عبادة الله. وفي تلك الكنائس، نقوم بإعداد تعليم مسيحي، ونستغل إمكانتنا وطاقاتنا في خدمة وإرسالية الكنيسة حتى ينمو إيماننا فكريًا، ومن خلال أعمالنا. لا يريد الله أن «يخلصنا وينسانا»، بل أنه يخلصنا لكي يؤهّلنا للخدمة وللإرسالية في هذا العالم. هذا ويقدم الله لنا الموارد اللازمة لكي نحيا إيماننا يوميًا في كل ما نفعل.

العبادة. إحدى الطرق التي يتم بها هذا الإعداد والتأهيل لحياتنا هي من خلال العبادة. فالعبادة هي أمر أساسي للغاية بالنسبة لوجودنا المسيحي، تمامًا كما كانت بالنسبة لشعب إسرائيل في العهد القديم. إننا نقوم بعبادة الله أسبوعيًا بانتظام إذ نجتمع مع المؤمنين الآخرين في الكنيسة في شركة الإيمان. فالاشتراك في عبادة الله في الكنيسة ليس أمرًا اختياريًا بالنسبة لنا نحن المؤمنين، بل هو ضرورة أساسية. فنحن نجتمع في اجتماع العهد للتسبيح والطلبات والشكر لله لأجل ذاته ولأجل ما فعله لنا.

كما أننا نعبد الله أيضًا يوميًا إذ نستخدم وسائط النعمة التي يمنحها لنا الله، أي قراءة الكتاب المقدس والصلاة. وعندما نقوم بالعبادة باعتبارنا مسيحيين حقيقيين، فإننا نعطي انتباهنا واهتمامنا الكامل لله خالقنا وفادينا في يسوع المسيح، والحاضر معنا بالروح القدس. وفي العبادة نقوم بتسبيح الله وشكره والصلاة له والاستماع إليه. فالعبادة تمكّننا من الحديث إلى الله ومن سماعه وهو يتحدث إلينا في الجماعة المسيحية. تمثّل العبادة توجيهًا لحياتنا المسيحية، فإننا إذ نسبح الله ونطلبه ونصارع مع ما نؤمن أن الله يدعونا إليه ولفعله، تكون العبادة هي الوضع والمكان الذي يتحقق فيه سعينا لعيش الحياة المسيحية.

الصلاة. يؤمن المشيخيون باقتدار الصلاة، فيدعو كالڤن الصلاة «الممارسة الرئيسية للإيمان والتي بها نتلقى بركات الله يوميًا» (المبادىء ٣,٢٠,١). والصلاة ببساطة هي حديث مع الله (المبادىء ٣,٢٠,٤).

لماذا نصلي؟ إننا نصلي ليس فقط لأن الله يوصينا بذلك، ولكن أيضًا لأننا نؤمن أن الله يسمع ويستجيب لصلواتنا (إر ٢٩: ١٢). وهذه هي الطريقة التي يخاطب بها كاتب المزمور الله: «يا سامع الصلاة» (مز ٦٥: ٢). يوصينا الله أن نصلي في «يوم الضيق» (مز ٥٠: ١٥)، ويقول يسوع، «أنه ينبغي أن يصلى كل حين ولا يملّ» (لو ١٨: ١). كما يقول بولس إننا يجب أن «نصلي بلا انقطاع» (١تس ٥: ١٧). إن دافع صلاتنا هو حبنا وامتناننا لله، وتنشأ الصلاة من حياتنا اليومية وتصبح جزءًا من إيقاع وجودنا المسيحي. والصلاة هي التعبير عن أفكارنا ورغباتنا وعن تسبيحنا لله، كما أنها استماع وإصغاء في هدوء لروح الله وهو يتحدث إلينا وداخلنا. وإذ نبدأ في الصلاة فإننا «نصلي في الروح» (أف ٦: ١٨). الروح القدس

الصلاة هي التعبير عن أفكارنا ورغباتنا وعن تسبيحنا لله، كما أنها استماع وإصغاء في هدوء لروح الله وهو يتحدث إلينا وداخلنا.

يعيننا ونحن نصلي، حتى عندما لا نعرف ما نصلي له في ضعفنا. فمن منا يعرف حقًا كيف يصلي «كما ينبغي»؟ لا أحد، ولكن الله في نعمته يعطينا الروح لكي يتشفّع فينا «بأنّات لا ينطق بها» (رو ٨: ٢٦)، فيا لها من بركة!

في معظم الأحيان يتم وصف الصلاة على أنها تحتوي على أربعة أجزاء. فكل من صلاتنا العلنية في العبادة العامة مع الجماعة المسيحية أو صلاتنا الفردية الخاصة، تتركز حول هذه العناصر الأربعة. الأول، هو العبادة والسجود Adoration حيث نسبح الله لأجل ذاته ونركز اهتمامنا على عظمة الله المثلث الأقانيم. والعنصر الثاني هو الاعتراف Confession، والذي فيه نعترف بخطيتنا ونحدد الأمور الخاطئة التي ارتكبناها، أو تلك التي فشلنا في القيام بها، والتي أدت إلى عدم قدرتنا على التمثّل بصورة الله وتحقيق مشيئة الله داخلنا. العنصر الثالث هو الشكر Thanksgiving، وفيه نشكر الله على جميع بركاته وإحساناته لنا، وعلى جميع أعماله معنا. وأخيرًا، هناك التضرع والطلب Supplication لكي «تعلم طلباتنا لدى الله» (في ٤: ٦)، إذ نصلي للعالم وللآخرين ولأنفسنا. وهكذا إذ نأخذ الحرف الأول من كل من هذه العناصر باللغة الانجليزية ونجمعها معًا، فإننا نحصل على كلمة «ACTS» أي «أفعال». فالصلاة هي حديث وإصغاء يقود إلى فعل وعمل من جانبنا، لكي نفعّل ما قد صلينا لأجله، أو ما وضع الله على قلوبنا أن نفعله.

الله يستجيب الصلاة. قد نذهل من الطرق العديدة التي يمكن أن يحدث بها هذا الأمر، ولكن إحدى الطرق الأساسية التي يستجيب بها الله هي من خلال ما نفعله نحن وما يفعله الآخرون. فإننا الوسيلة التي يستخدمها الله لاستجابة الصلاة، للآخرين، وفي بعض الأحيان لنا نحن أنفسنا. كما يستخدم الله أشخاصًا

آخرين لكي يكونوا هم أيضًا استجابات لصلواتنا. لذلك فإن الصلاة ليست نوعًا من العمليات الأوتوماتيكية بالنسبة للحياة المسيحية، أو شعائر ننشغل بها حتى يمكننا أن نسير آمنين في رحلة الحياة. ولكنها عمل معزي ومحفّز يأتي بنا إلى حضور الله، ثم يقودنا بعد ذلك، بالروح، إلى الطرق التي يريدنا الله أن نسلك فيها. فالمرء عندما يبدأ في الصلاة لا يعلم أبدًا إلى أين ستقوده هذه الصلاة، أو إلى من ستقوده، أو إلى أية اتجاهات جديدة قد تتحول حياتنا إليها. وبذلك فإن الصلاة بهذا المعنى هي أمر جديّ وخطير! فحياتنا بأكملها قد تتغير جذريًا عندما نصلي! فالصلاة هي اتجاه ومسار حياتنا في الإيمان المسيحي. يصلي المشيخيون لكي يختبروا حضور الله في وسطهم وفي قلوبهم، فنحن نصلي لكي نطلب مشيئة الله ولكي نجد طرقنا في رحلتنا الإيمانية.

ناموس الله. لكن كيف لنا أن نعرف ما علينا أن نفعل أو أي طريق نسلك؟ كيف يمكننا أن نعرف نوع الحياة المسيحية التي يريدنا الله أن نحياها؟ لقد كان المشيخيون يؤمنون دائمًا أن المكان الوحيد الذي يجب أن ننظر إليه لكي نعرف ذلك، هو ناموس الله. يركز المسيحيون المشيخيون على أن ناموس الله، الذي نجده في الوصايا العشر (خر ٢٠: ١- ١٧)، هو عطية صالحة من الله. فقد أعطى الله الناموس لشعب إسرائيل باعتباره تعبيرًا عن مشيئة الله، ففيه يعلن لنا الله عن الطرق التي يجب أن نسلك بها في الحياة كشعب العهد من خلال الوصايا العشر. تعلن المقاصد الإلهية للمجتمع البشري وتظهر من خلال الوصايا التي يعطيها لنا الله. إن مزمور ١١٩، وهو مزمور شديد الأهمية، يعتبر هو أطول أصحاح أو فصل في الكتاب المقدس، وفيه يشير كل عدد تقريبًا إلى ناموس الله ووصاياه وشهاداته وأحكامه وفرائضه، والتي هي جميعها تعبير عن الإرادة الإلهية. يعلن كاتب المزمور

قائلاً، «لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز. لأجل ذلك حسبت كل وصاياك في كل شيء مستقيمة. كل طريق كذب أبغضت» (مز ١١٩: ١٢٧- ١٢٨). لأنه «طوبى للكاملين طريقًا السالكين في شريعة الرب» (مز ١١٩: ١).

بالنسبة للمسيحيين الذين قد خلصتهم محبة الله في يسوع المسيح والذين قد اتحدوا معًا في الكنيسة بعمل الروح القدس، لا يزال ناموس الله في الوصايا العشر مهمًا للغاية. فإننا الآن بكوننا مؤمنين ننظر إلى ناموس الله لكي نرى كيف يريدنا الله أن نحيا. فإننا نسعى لمعرفة مشيئة الله في حياتنا، ولا يزال ناموس الله هو المكان الوحيد الذي نكتشف فيه تلك المشيئة. لذلك فإننا نسعى لطاعة ناموس الله، ونحن نفعل ذلك ليس لكي ننال برًا في نظر الله، إذ أننا لن نستطيع أبدًا تحقيق ذلك! فنحن لا نطيع ناموس الله لكي نخلص أو نقبل الخلاص. إذ لن يستطيع أي إنسان على الإطلاق أن يطيع مشيئة الله طاعة تامة كما يعبر عنها الناموس. كما أننا لا نطيع ناموس الله لكي نجعل أنفسنا نبدو بصورة جيدة أو صالحة في مجتمعاتنا. بل لكوننا مسيحيين نطيع ناموس الله بدافع الامتنان لما فعله الله لأجلنا في يسوع المسيح. إننا نطيع الناموس ونتبع الوصايا كوسيلة للتعبير عن شكرنا لله، وهذه الطاعة هي استجابة لمحبة الله لنا في يسوع المسيح. فنحن نفعل ما يريده الله منا كطريقة نعبر بها لله عن شكرنا لأجل نعمة ولأجل عطية الخلاص. وهكذا فإننا نرى ناموس الله على أنه عطية الله الصالحة لنا. يوضّح لنا ناموس الله نوع السلوك الذي يريدنا الله أن نتجنبه، لأنه سيدمر حياتنا وعلاقتنا مع الله ومع الآخرين. ومع ذلك، بطريقة إيجابية، فإننا أحرار في أن نفعل أي شيء آخر في العالم، إلا ما يحرّمه

إننا نطيع ناموس الله لكي نجعل أنفسنا نبدو بصورة جيدة أو صالحة في مجتمعاتنا. بل لكوننا مسيحيين نطيع ناموس الله بدافع الامتنان لما فعله الله لأجلنا في يسوع المسيح.

الناموس. فإن عشنا حياتنا بهذه الطريقة، سنجد الحرية والفرح الذي يعد بهما الله. كان كالڤن يؤمن أن الهدف الأساسي من ناموس الله هو أن يبين للمؤمنين كيف يعيشوا (المبادىء ٢,٧,١٢). ويمكننا أن نقول مع كاتب المزمور: «كم أحببت شريعتك»، و«أتلذذ بوصاياك التي أحببت» (مز ١١٩: ٩٧، ٤٧). لذلك فإن ناموس الله كمرشد إيجابي نافع للحياة المسيحية كان عليه تركيز مهم في تراثنا المشيخي.

إن تقديسنا، أو نمونا في الإيمان، هو عملية لا تكتمل إلى أن نموت. في بعض صيغ التعاليم الويسلية أو الميثودستية، توجد عقيدة الكمال. وتقول هذه العقيدة إن بعض المسيحيين يمكن أن يصلوا إلى «التقديس» الكامل، أو «التطهير» الكامل في إيمانهم، حتى أنهم يصلوا إلى كمال المحبة، فيستطيعون أن يطيعوا ناموس الله وأن يحبوا بالكامل كما يريدهم الله، وأن يتجنبوا الخطية والإساءة إلى الله وإلى الآخرين. ولكننا نحن المشيخيين لسنا بهذه الدرجة من التفاؤل. فإننا نرى أن الحياة المسيحية هي نوع من الطريق المتعرج: فنحن ننمو في إيماننا، ويمكن أن تكون لدينا نقائص ونكسات، ولكننا نستمر في التحرك. إنها نوع من الطريق اللولبي الذي يدور ويدور ولكنه يتحرك أيضًا لأعلى. لكننا لا نصل أبدًا إلى الهدف النهائي في هذه الحياة، فلن نستطيع أن نأتي إلى مرحلة نستطيع فيها القول إننا قد وصلنا بالكامل ونهائيًا، أو أننا قد حصلنا على الكمال النهائي بحيث أننا نصل إلى كل ما يمكننا أن نكون عليه، كما قد نأمل. فهذا الكمال سنناله في السماء، بعد الموت، وليس قبل ذلك. فالله لن ينهي أبدًا عمله فينا طالما نحن على قيد الحياة. يشبه الأمر تلك العلامات التي توضع على الطرق السريعة، التي توضّح أعمال الصيانة التي تتم على الطرق: «تحت الإنشاء». يؤمن المسيحيون المشيخيون أننا سنكون دائمًا «تحت الإنشاء». فإننا لن «نكتمل» أبدًا بالنسبة لله، بمعنى أننا لن نصل إلى ملء

الحياة المسيحية التي يرغب الله في النهاية أن نبلغها. سنستمر في خدمة الله واتّباع المسيح والاستجابة للروح القدس يومًا بعد يوم، بأمانة وتكريس، عبر سنين وسنين من الخدمة في الكنيسة، مؤمنين أن عمل الله في حياتنا مستمر دائمًا. فالله لن ينهي أبدًا عمله معنا! إننا نؤمن أن روح الله يعمل فينا لكي نريد ولكي نعمل بطرق تفوق معرفتنا وإدراكنا. فالله هو العامل فينا لكي يفعل «أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر» (أف ٣: ٢٠).

الدعوة. إننا نستمر في المثابرة في الحياة المسيحية، لأننا نحن المشيخيين نؤمن أن الله قد دعانا. لقد دعانا الله لكي نكون تابعين ليسوع المسيح؛ كما دعانا لكي نعيش دعوتنا أو خدمتنا ونتممها في هذا العالم. لقد دعينا للخدمة، دعينا لإرسالية وخدمة في الكنيسة وفي العالم. أحيانًا تتم الإشارة لخدماتنا على أنها «أعمالنا أو مهامنا». فإننا نؤمن أننا المسيحيون يمكننا أن نعيش دعوتنا لكي نكون خدامًا للمسيح في أعمالنا اليومية التي نقوم بها. فبينما نقوم بخدمة الآخرين، فإننا نخدم المسيح. وبينما نستخدم المواهب التي أعطاها لنا الله للصالح العام لجيراننا ولمجتمعنا، فإننا بذلك نعيش كما يريدنا الله.

إننا نحقق دعوتنا في إطار أشغالنا ولكننا أكثر من ذلك فإن دعوتنا هي هويّتنا فنحن نتبع دعوتنا كتلاميذ ليسوع المسيح في أي عمل نقوم به – ونحن نعيش تلك الدعوة باعتبارنا مؤمنين.

إننا نحقق دعوتنا في إطار أشغالنا، ولكننا أكثر من ذلك، فإن دعوتنا هي هويّتنا. فنحن نتبع دعوتنا كتلاميذ ليسوع المسيح في أي عمل نقوم به – ونحن نعيش تلك الدعوة باعتبارنا مؤمنين.

إن لدينا فهم أن هويتنا هي التي تهم في الحقيقة. فهويتنا تذهب معنا أينما نذهب، وفي أي عمل أو مهنة أو وظيفة نجد أنفسنا فيها. هذا هو ما يمنحنا الحس والفهم

الحي المتجدد بحضور الله وقوته. فنحن ندرك أن الله يعمل من خلالنا – نعم من خلالنا! – الله يعمل من خلالنا إذ نقوم بالعمل أو الوظيفة التي لدينا. الله يعمل من خلال كل العلاقات التي نبنيها. لو تبنّى المشيخيون هذه النظرة للخدمة أو للعمل بجدية، مدركين حضور الله وقوته العاملة فيهم في كل يوم، لاختبروا تجديدًا حقيقيًا في كنائسهم. سوف يمكّننا روح الله من الشعور بالإثارة والحماسة، إذ نعي ما يفعله الله في وسطنا، ولكيفية عمل الله في حياتنا وفي الخبرات العامة التي نجتازها كل يوم. فنحن إذ نخدم، سواء في الخدمة أو في الإرسالية، سنرى ما يفعله الله من خلالنا، ومن خلال «بشر مثلنا». وهذا أمر مثير! وهكذا فإن دعوتنا المسيحية هي هويتنا، كما أنها ما نفعله أيضًا. عندما نرى حياتنا بأكملها من هذا المنظور، أننا نخدم الله في كل ما نفعله حينها ستأخذ حياتنا معنى وستختبر فرحًا عظيمًا. نحن المشيخيين نتخذ هدفًا لحياتنا ما وصفه بولس لأهل كورنثوس إذ قال، «فإذا كنتم... تفعلون شيئًا فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١كو ١٠: ٣١). هذا هو هدف حياتنا المسيحية.

أسئلة للمناقشة

-١ ما هي الطرق التي تدرك بها نموك في الإيمان؟

-٢ من أية نواحي ترى أهمية العبادة بالنسبة لك؟

-٣ هل اختبرت من قبل مرات تأكدت فيها أن الله قد استجاب لصلواتك؟

-٤ بأية طرق ترى ناموس الله معينًا لك في حياتك المسيحية؟

-٥ هل تعي أنك تعيش «دعوتك» أو «خدمتك» في حياتك اليومية؟ وكيف؟

(١٣)
الحياة (الآتية) المستقبليــة

جميعنا نتساءل بشأن المستقبل. فلا يمضي يوم إلا ونفكر، بصورة ما، عما ينتظرنا في المستقبل. في معظم الأحيان يكون هذا الأمر على المستوى العام العادي، مثل تساؤلنا وتخطيطنا لما سنقوم بفعله في الأسبوع التالي، متى سنقوم بالتسوق؟ وما هو الجدول الدراسي للأطفال؟

ولكننا في بعض الأحيان نفكر في حدث أكبر من مجرد تلك الصورة الصغيرة. فنحن نتساءل بشأن مستقبل العالم، وعن مصيرنا الشخصي. ترى هل سيستمر العالم في الوجود بلا نهاية؟ هل توجد نهاية للتاريخ؟ وما هي الأبدية؟ ماذا ينتظرنا بعد الموت؟ تدفعنا هذه الأسئلة للتفكير في عمل الله المستقبلي، سواء في هذا العالم أو في العالم الآتي. يطلق اللاهوتيون على هذا البعد من اللاهوت اسم «الاسخاتولوچي» أي علم الأخرويات أي «الأمور الأخيرة» ونهاية الأشياء. ويشير هذا إلى خطة الله ومقاصده النهائية لنهاية التاريخ، كما يشير إلى ما هو أبعد من ذلك أيضًا، إلى موضوع حياتنا الأبدية، أو حياتنا بعد الموت.

الصورة الكبيرة: ملك الله

الكتاب المقدس هو قصة الخلاص. فهو يخبرنا عن عمل الله في هذا العالم

بدعوته للبشر الذين سيحبونه ويخدمونه في هذا العالم. كما يعطينا الكتاب المقدس أيضًا «صورة كبيرة» لما يفعله الله في التاريخ الإنساني، في ومن خلال شعب العهد، كما في جميع الشعوب والثقافات. إن عمل الله في التاريخ هو أن يؤسس ملكوت الله أو ملك الله.

كان شعب الله في العهد القديم، شعب إسرائيل، يعبد الله باعتباره ملكًا لهم. فالمزامير مملوءة باللغة «الملكية» التي تعترف بالدور الذي يلعبه إله إسرائيل في حياة الأمة الإسرائيلية. كان الشعب يعبدون ملكهم قائلين: «رنموا لله رنموا. رنموا لملكنا رنموا. لأن الله ملك الأرض كلها. رنموا قصيدة. ملك الله على الأمم. الله جلس على كرسي قدسه» (مز ٤٧: ٦-٨). الله يحكم كل الأمم، بما فيها إسرائيل، كما أن الله هو «الملك» الشخصي أيضًا على الإسرائيليين المخلصين، «والله ملكي منذ القدم فاعل الخلاص في وسط الأرض» (مز ٧٤: ١٢).

إن عمل الله في التاريخ هو أن يؤسس ملكوت الله أو ملك الله.

إن لعمل الله في الأمة اتجاهًا وقصدًا. فالقصد الإلهي هو أن يؤسس الله ملكًا نهائيًا في كل أرجاء الأرض. ويتميز هذا الملك بسمات الله التي تعرّف عليها شعب الله إسرائيل في تاريخهم التي هي البر والرحمة والعدل والسلام. كانت هذه هي الرؤية الاجتماعية للأنبياء العبرانيين الذين كانوا يتطلعون بتوقع وانتظار للمستقبل على أنه الزمن الذي فيه سيعترف كل الأمم وجميع الشعوب بسيادة الله وملكه وحكمه (إش ٢: ٢-٤). فقد أعلن النبي إشعياء قائلاً، «ما أجمل على الجبال قدمي المبشر، المخبر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل لصهيون قد ملك إلهك» (إش ٥٢: ٧). وهذه هي الصورة التي اشتهرت في زمن النبي ميخا:

«وتسير أمم كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب،

وإلى بيت إله يعقوب،

فيعلمنا من طرقه،

ونسلك في سبله،

لأنه من صهيون تخرج الشريعة،

ومن أورشليم كلمة الرب.

فيقضي بين شعوب كثيرين،

ينصف لأمم قوية بعيدة،

فيطبعون سيوفهم سككًا ورماحهم مناجل.

لا ترفع أمة على أمة سيفًا،

ولا يتعلمون الحرب في ما بعد.

بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته،

ولا يكون من يرعب

لأن فم رب الجنود تكلم».

(مي ٤: ١-٤)

يتميز هذا الملك النهائي له بمعرفة الله، وبالطاعة له، وبحكم الله العادل، وبالسلام (بالعبرية شالوم shalom) بين الأمم. هذا هو عمل الله المباشر.

هذا هو أيضًا «ملكوت الله» الذي علّم يسوع عنه في كثير من أمثاله. فكان يربط بين «ملكوت السماوات» وبين الأحداث أو الاختبارات العامة الشائعة (انظر أمثاله في متى ١٣). ومن خلال هذه الوسيلة التعليمية، كان يسوع ينقل ويغير وعي سامعيه لكي يعلمهم بعض النواحي المهمة عن شخصية الله، وكيف يرغب الله أن يعيش الناس في هذا العالم. يتفق معظم العلماء على أن الموضوع المحوري لرسالة يسوع بأكملها هو مجيء ملكوت الله. فقد بدأ يسوع خدمته «يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر١: ١٤- ١٥؛ مت ٤: ١٢- ١٧). لقد رأى يسوع خدمته الخاصة على أنها بداية لملك الله بين الناس، كتحقيق لوعود الله «لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة» (لو ٤: ١٨- ١٩، قارن مع إش ٦١: ١- ٢). وهكذا جاءت إرسالية يسوع بهذا المفهوم، فقد قال «إنه ينبغي أن أبشّر المدن الأخر أيضًا بملكوت الله لأني لهذا قد أرسلت» (لو ٤: ٤٣).

وهكذا يتشكّل ملك الله في هذا العالم، وهو يعمل بصورة غير محسوسة، في بداياته الصغيرة، ولكن نجاحه أكيد. (انظر مت ١٣: ٣١- ٣٣). لقد كانت الكنيسة الأولى تؤمن بأن مستقبل ملك الله النهائي أكيد بسبب قيامة يسوع المسيح من الأموات. فالقيامة هي محور التاريخ. إن إقامة الله ليسوع من الأموات هي التأكيد واليقين بأن قيامة المؤمنين المستقبلية من الأموات سوف تحدث. فالمؤمنون المتحدون بالمسيح من خلال موته سوف يشاركون أيضًا في مجد قيامته. كما يعبر بولس عن ذلك بقوله، «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضًا بقيامته». (رو ٦: ٥). فقيامة المسيح هي ضمان لقيامتنا نحن

وهكذا يتشكّل ملك الله في هذا العالم، وهو يعمل بصورة غير محسوسة، في بداياته الصغيرة، ولكن نجاحه أكيد

الشخصية وللحياة الأبدية. (انظر ١كو ١٥: -١٢ ٢٨). وسوف يقوم المسيح في النهاية بتسليم مملكته «لله الآب متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. آخر عدو يبطل هو الموت» (١كو ١٥: -٢٤ ٢٦). تأسيس ملك الله الأبدي قد بدأ بالفعل. ففي قيامة يسوع المسيح نعاين التحقيق النهائي لهذا الملك. هذا يعني أن جميع القوى والأعداء المناهضين لله سوف يتم هلاكهم في النهاية. تقول عقائد إيمان عام ١٩٦٧ إن «الملكوت يمثّل نصرة الله على كل ما يقاوم مشيئته ويفسد خليقته» (العقائد ٩,٥٤). وهكذا تستجاب الطلبة الموجودة في الصلاة الربانية: فملكوت الله سوف يأتي، ومشيئة الله سوف تتحقق وتتم (مت ٦: ١٠). وسوف تتحقق الرؤية المذكورة في سفر الرؤيا: «هللويا فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء» (رؤ ١٩: ٦).

تأسيس ملك الله الأبدي قد بدأ بالفعل ففي قيامة يسوع المسيح نعاين التحقيق النهائي لهذا الملك.

نحن المسيحيين نعيش نطلب مشيئة الله، ونسعى لخدمة الله في كل ما نفعل، لأننا في النهاية نؤمن أن أهداف الله ومقاصده سوف تتحقق. فمشيئة الله سوف تسود في النهاية في هذا العالم. إن لدى المشيخيين نظرة «متفائلة» للمستقبل. ولكن تفاؤلنا لا يتأسس على تطلعات أو إنجازات بشرية. فإنه لو اعتمدت نظرتنا للمستقبل على البشر فقط، فإن التشاؤم لا محالة هو الذي سيسود! ولكننا نضع رجاءنا في الله، ونثق في الله. فنحن نؤمن أن الله الذي بدأ كل شيء هو الذي سيكمله، فنؤمن أن الله الذي خلق وفدى هو أيضًا الله الذي سيملك إلى الأبد، في ملكوت الله المستقبلي. إننا نؤمن أن هذا هو الإله الذي خلصنا والذي سيدينا في

يسوع المسيح، والذي لن يكون لملكه نهاية. جميع مقاصد الله وأهدافه سوف تنفذ وتتحقق. ففي النهاية سوف تغلب مشيئة الله وتسود على الكل. إننا نتطلع إلى السماوات الجديدة والأرض الجديدة، حيث ملكوت الله الذي سيتحقق فيه ملك الله الكامل إلى الأبد.

إن ملك الله يتشكّل في العالم، ولكنه ليس واضحًا ومفهومًا بالنسبة للحواس البشرية. لقد قال يسوع أمثاله لأي شخص لديه أذنين للسمع (مر ٤: ٩؛ لو ٨: ٨). لذلك فإننا لابد أن ننظر ونستمع إلى كل ما هو حولنا لكي نرى أين يقتحم ملك الله عالمنا، هنا والآن. إننا نرى ملك الله يتحقق عندما نرى القيم التي نادى بها يسوع وعاشها تتمثّل وتتأسس في الناس وفي الأماكن التي حولنا. فعندما ينتشر الحب وتقدم الرعاية ويتحقق العدل والمصالحة أو يسود السلام، يكون ملك الله عاملاً. لكن ملكوت الله لا يأخذ شكل نموذج تطوري واضح في التاريخ. فإننا لا نستطيع أن نزعم أن المزيد من نواحي القرن الواحد والعشرين هي التي تنسجم مع ملك الله أكثر مما كان يحدث في القرن الخامس عشر أو في القرن الرابع. فقد تعلمنا ألا نثق في الشعار القائل، «كل يوم، بكل وسيلة، نحن نتحسّن». فإن كمية الهلاك البشري من خلال الحروب التي حدثت في القرن العشرين مثلاً، تجعل من المستحيل أن نعتقد أن كل قرن في التاريخ البشري هو بالضرورة به تطور عن القرن السابق له، من ناحية الاتجاه نحو ملك الله، وهذا لأن «التقدم» البشري لا يمكن مساواته بملك الله.

ملكوت الله في كل ملئه سوف يقتحم التاريخ في الوقت الذي يختاره الله.

لكن ملكوت الله في كل ملئه سوف يقتحم التاريخ في الوقت الذي يختاره الله. إننا نعيش الآن، في زمن ما بعد قيامة يسوع المسيح، كأعضاء في الكنيسة نعرف

حقيقة ملكوت الله في يسوع المسيح نفسه. كان المسيحيون الأوائل يقولون إن الملكوت هو «Autobaselia»، وهي كلمة يونانية تعني «الملكوت الذاتي». وكانوا بهذا يقصدون أن ملكوت الله قد جاء بالفعل في شخص يسوع المسيح. يمكننا أن نراقب تلك النواحي لملك الله التي تظهر في اختباراتنا الشخصية كل يوم، ولكن ليست هذه هي القصة بأكملها. فالكنيسة تتوقع وتنتظر مجيء الله، والملكوت النهائي، عندما، كما يقول الكتاب المقدس:

«لكي تجثو باسم يسوع

كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض

ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب

لمجد الله الآب» (في ٢: ١٠- ١١).

إننا نتطلع للمجيء المجيد لملك الله في ملئه الأبدي. في بعض الأحيان نقول إننا نعيش «بالفعل ولكن ليس بالكامل» في تلك الحالة. لقد جاء ملكوت الله «بالفعل»، في يسوع المسيح، ومع ذلك، فكما نصلي في الصلاة الربانية، «ليأت ملكوتك»، فإننا ننتظر أيضًا الإظهار والاستعلان النهائي لملك الله، وهو استعلان «لم يأت للاكتمال بعد».

المستقبل

من الطبيعي أن نتساءل متى سيتم كل ذلك. وهل ملكوت الله الآتي قريبًا، أم سيكون هناك آلاف من السنين بعد في المستقبل؟ ويجيب المشيخيون على هذا: إننا لا نعلم. ونحن لا نعلم، لأن الكتاب المقدس لا يعطينا إجابات واضحة أو لا لبس فيها بخصوص ما سيحدث بالضبط في المستقبل.

هناك أجزاء من الكتاب المقدس قد كتبت لكي تؤكد بعض الأمور المعينة في المستقبل، ويطلق على هذه الأجزاء «الأدب الرؤوي». وهي تتحدث عن نهاية العالم والتاريخ البشري، وهي مكتوبة بلغة شديدة الرمزية. فهي تتنبأ بالكوارث العظيمة والحروب والمعارك، ولكن رسالتها هي أن الله سوف ينتصر على جميع قوى الشر. في العهد القديم كان الأدب الرؤوي موجودًا في أسفار دانيآل وحزقيال، أما في العهد الجديد فهو موجود في سفر الرؤيا. وعادة ما كان هذا الأدب الرؤوي يكتب بواسطة أناس تم اضطهادهم، وذلك لكي يحافظوا على رجائهم في نصرة قضيتهم. كما يظهر الأدب الرؤوي أيضًا في الكتاب المقدس الرجاء المسيحي، فهو يصف بصورة شديدة الوضوح الهزيمة النهائية للشر ولكل ما يقاوم ويعادي الله، بينما تعلن النصرة النهائية لله على كل ما يقاوم ويحارب الإرادة الإلهية. إن التشبيهات الرمزية في سفر الرؤيا والرؤى العظيمة فيه مثل رؤية أورشليم الجديدة (رؤ ٢١: ٩- ٢٧)، و«نهر ماء الحياة» (رؤ ٢٢)، و«السماء الجديدة والأرض الجديدة» (رؤ ٢١: ١) تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك الاعتقاد بنصرة الله النهائية، وملكه فوق الجميع.

ليس المقصود بالصور والتشبيهات الموجودة في الأدب الرؤوي أن يتم تفسيرها حرفيًا بل أنها وسائل لمحاولة التعبير عن الحقائق العظيمة بلغة رمزية.

ليس المقصود بالصور والتشبيهات الموجودة في الأدب الرؤوي أن يتم تفسيرها حرفيًا بل أنها وسائل لمحاولة التعبير عن الحقائق العظيمة بلغة رمزية. والأدب الرؤوي أدب قوي لأنه يحاول أن يعبر عما لا يمكن التعبير عنه، وأن يوصّل رسالة هائلة من الحق تذهب إلى أبعد ما يمكن فهمه عن طريق سلسلة بسيطة من التصريحات الحرفية.

لذلك فإننا نحتاج أن ندرك أننا بينما نحاول أن نفسر الكثير مما يقوله الكتاب المقدس عن المستقبل، فإننا يجب أن نسعى للوصول إلى الحقائق اللاهوتية التي يتم توضيحها، بدلاً من أن نركز على التوقع الحرفي للأحداث. إن لغة الكتاب المقدس عن المستقبل هي لغة قوية وصادقة، ولكن صدقها هو في الحقائق التي تكشفها، وليس في محاولات تفسير كل حدث أو صورة أدبية.

فالكتاب المقدس لا يعطينا ترتيبًا زمنيًا مفصلاً للأحداث المستقبلية في الجدول الإلهي. هناك عدد كبير من الكتب الدينية الشعبية التي تتعامل مع المستقبل، أو مع نبوات الكتاب المقدس، أو تتحدث عن نهاية العالم. وكل هذه الكتب تؤكد أنها مبنية على الكتاب المقدس، ولكننا بمجرد أن نفحصها، نجد أنها جميعًا تتنبأ عن صور أو أحداث مختلفة أو عن تتابع مختلف للأحداث التي تتم من الآن وحتى الملكوت النهائي لله. ويجب أن يكون هذا الأمر كافيًا ليجعلنا نحذر من مثل هذه المحاولات لبناء مسودة للكتاب المقدس عن المستقبل!

ولكن هناك بعض العناصر التي تمثّل بوضوح أجزاء من التأكيدات الكتابية عن المستقبل.

مجيء المسيح الثاني. يؤكد قانون الإيمان الرسولي أننا نؤمن بأن يسوع سوف «يأتي ثانية». وقد تنبأ يسوع نفسه بهذا الأمر (مت ٢٤: ٣٠؛ مر ١٣: ٢٤-٢٧؛ يو ١٤: ٣). كما أن الملائكة في رواية صعود يسوع أشاروا إلى هذا الأمر (أع ١: ١١). والكنيسة الأولى كان لديها توقع حي بأن يسوع سوف يعود، وأنه سيأتي قريبًا (في ٣: ٢٠؛ ١تس ٤: ١٥؛ تي ٢: ١٣). لقد كان المسيحيون يبحثون دائمًا عبر التاريخ عن «علامات الأزمنة» أو عن الأحداث التي يعتقدون أنها قد تكون تحقيقًا لنبوة أو تنبؤات الكتاب المقدس التي تشير إلى قرب عودة المسيح.

ومع ذلك فمن المهم أن ندرك أنه حتى يسوع لم يكن يعلم بوقت مجيئه الثاني، فقد قال، «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده» (مت ٢٤: ٣٦). يتعامل المشيخيون مع هذا التصريح بجدية، ولذلك لا يحاول معظمهم أن ينظروا للتاريخ أو للأحداث الحالية ويفسروها باعتبارها تحقيقًا للنبوات الكتابية.

لكن هناك اتجاه أفضل، وهو أننا نؤمن على وجه اليقين بأن يسوع المسيح سيأتي ثانية. هذا هو الحدث الذي سيكون هو «اللعبة الأخيرة» أو بداية «نهاية الأزمنة». إننا ندرك أننا لا نستطيع أن نتنبأ بزمن حدوث ذلك – فقد يكون اليوم، أو غدًا، أو بعد أربعة آلاف عام، لذلك فإننا يجب أن نعيش ساهرين كما حثنا يسوع (مر ١٣: ٣٢-٣٦) أو متوقعين مجيئه. بكلمات أخرى، يمكننا أن نؤمن أن مجيء يسوع المسيح الثاني وشيك، ولكنه ليس بالضرورة فوري. فيسوع قد يأتي في أي وقت. لكن مجيء يسوع قد لا يكون فوريًا، أي أنه قد لا يحدث قبل قرون. إلا أننا إذ نعيش، فلابد أن نكون مستعدين دائمًا لأن تنتهي حياتنا الجسدية بعودة المسيح، ولذلك فإننا نستثمر حياتنا في دعوتنا وفي خدمتنا للمسيح عالمين أننا قد نموت قبل أن يأتي المسيح ثانية، وهكذا فإننا نعيش ونخدم الآن، وفي نفس الوقت، يجب أن تكون صلاتنا دائمًا «آمين، تعال أيها الرب يسوع» (رؤ ٢٢: ٢٠).

يمكننا أن نؤمن أن مجيء يسوع المسيح الثاني وشيك ولكنه ليس بالضرورة فوري.

الدينونة الأخيرة. يؤكد قانون الإيمان الرسولي أيضًا بأننا نؤمن أن يسوع المسيح سوف يأتي ثانية «لكي يدين الأحياء والأموات». الدينونة الإلهية هي حقيقة في كل أنحاء الكتاب المقدس، ففي العهد القديم، يدين الله الأرض وشعوبها (مز ٥٠: ٦؛ ٨٢: ٨). وقد أدان الله شعب إسرائيل لعدم أمانته ولخطيته

(حز ١٨: ٣٠؛ إر ٤: ١٢؛ ٢٥: ٣١). كما تنبأ يسوع بيوم للدينونة (مت ١٠: ١٥؛ ٢٥: -٣١ ٤٦؛ يو ٥: ٢٢)، والدينونة حقيقة يواجهها كل البشر بسبب خطاياهم (رو ٢: -١ ١١؛ عب ٩: ٢٧؛ ٢بط ٢: ٩). وقد تحدث الدينونة في هذه الحياة (يو ٩: ٣٩)، بل وتبدأ حتى بالكنيسة، حيث أن الكنيسة التي هي شعب العهد تعرف مشيئة الله، ولكنها لاتزال تخطىء (١بط ٤: ١٧). يتحدث الكتاب المقدس عن القيامة العامة، والتي فيها سيقوم كل من قد ماتوا لكي يواجهوا الدينونة الآتية (يو ٥: -٢٥ ٢٩؛ ١كو ١٥: -١٢ ١٨؛ ١تس ٤: -١٣ ١٩). يقول بولس «أنه سوف تكون قيامة للأموات الأبرار والأثمة» (أع ٢٤: ١٥). ولذلك فإنه في المستقبل «لابد أننا جميعًا نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرًا كان أم شرًا» (٢كو ٥: ١٠).

الوضع النهائي. ترتبط الدينونة الأخيرة كما يتم تصويرها في الكتاب المقدس بالمصير النهائي للبشر. في المثل الذي ضربه يسوع عن الخراف والجداء في متى ٢٥: -٣١ ٤٦، يقوم يسوع بالمقارنة بين «الدينونة الأبدية» و«الحياة الأبدية» (متى ٢٥: ٤٦). وبحسب التقليد يشار إلى هذين المصيرين باسم «الجحيم» و«السماء» (مت ١٠: ٢٨؛ مر ٩: ٤٣، ٤٥؛ لو ١٠: ٢٠؛ في ٣: ٢٠). يسوع المسيح كالديان (مت ٢٥: -٣١ ٣٢؛ يو ٥: ٢٧) سوف يدين جميع الناس بحسب حياتهم في علاقتها بمشيئة الله (رو ٢: -١ ١٦). ومن ضمن الصور التي تشير إلى الجحيم، «آتون النار» (مت ١٣: ٤٢)؛ «بحيرة النار» (رؤ ٢٠: -١٤ ١٥)؛ ومكان حيث فيه «دود لا يموت ونار لا تطفأ» (مر ٩: ٤٨). أما الصور المرتبطة بالسماء، فهي عن مكان (يو ١٤: ٢) حيث يتم فيه التمتع بوعد «الحياة الأبدية» بواسطة القديسين (مت ١٩: ٢٩؛ يو ٦: ٤٠؛ ١٠: ٢٨؛ رو ٦: ٢٣) في حضور الله الأبدي مع جميع الملائكة والجنود السمائيين (رؤ ٢١: ٢٢).

مستقبلنا

يؤمن المشيخيون أن ملك الله يؤسس وسوف يقام إلى الأبد. إننا نؤمن بمجيء المسيح الثاني، وبالدينونة، وبالمصير الأخير. لكن، كيف ترتبط هذه الحقائق الكتابية بحياتنا اليومية كمسيحيين مشيخيين؟ وماذا عن مستقبلنا الشخصي؟

موتنا. إن الحدث الذي قد يبدو أكثر واقعية في مستقبلنا إذ ننتظر الأيام المقبلة، هو موتنا. فنحن نعلم أننا سوف نموت، إلا إذا جاء يسوع المسيح إلى الأرض قبل أن تنتهي أيام حياتنا على الأرض.

لاهوتيًا، إننا نؤمن أن «موتنا» الحقيقي قد حدث بالفعل. فالموت الذي يهمنا أكثر هو موتنا عن سلطة الخطية، وحياة قيامتنا الجديدة كمؤمنين بالمسيح. كان هذا هو ما يشير إليه بولس عندما كتب: «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضًا للخطية». لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية. فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه» (رو ٦: ٦-٨). فحياتنا في الإيمان، متحدة مع يسوع المسيح، هي «الحياة الجديدة»، أو «الحياة الأبدية» التي نشاركها مع المسيح الآن وعبر الأبدية.

إن وظائفنا الجسدية الفسيولوچية سوف تتوقف، وسوف نموت. لكن الموت ليس رعبًا نهائيًا بالنسبة للمسيحيين. إن الإجابة على السؤال الأول في كتاب عقائد هايدلبيرج تضع الأمور في منظورها الصحيح بالنسبة لنا:

س ١: ما هو عزاؤك الوحيد، في الحياة وفي الموت؟

ج: إنني أنتمي - بجسمي وبروحي، في الحياة وفي الموت - ليس إلى نفسي

ولكن إلى مخلصي الأمين، يسوع المسيح، الذي على حساب دمه قد دفع بالكامل أجرة جميع خطاياي، وحررني بالكامل من سلطان إبليس؛ أنه يحميني جيدًا لأن لا شعرة تسقط من رأسي بدون مشيئة أبي السماوي؛ وفي الحقيقة، أن كل شيء لابد وأن يتفق مع مقاصده لأجل خلاصي. ولذلك فإنه، بروحه القدوس، يؤكد لي أيضًا الحياة الأبدية، ويجعلني بكل قلبي راغبًا ومستعدًا من الآن فصاعدًا أن أحيا لأجله. (العقائد ٤,٠٠١)

كما رأينا، يبدأ هذا الإعلان الموجز عن الإيمان بتأكيد أننا «في الحياة وفي الموت ننتمي إلى الله» (١,١٠). هذا هو يقيننا وضماننا الكامل، أننا ننتمي إلى الله في يسوع المسيح، محمولين بقوة الروح القدس. ففي قيامته، قد هزم يسوع المسيح سلطة الموت على أنه «عدونا الأخير»، الذي تم تدميره وإبطاله (١كو ١٥: ٢٦). فبينما نحن بالطبيعة نخاف من الموت لأنه أمر مجهول، إلا أن الموت لا يعتبر رعبًا فائقًا بالنسبة لنا لأننا محميون باختيار الله لنا وبنعمة محبته في يسوع المسيح.

هذا هو يقيننا وضماننا الكامل أننا ننتمي إلى الله في يسوع المسيح محمولين بقوة الروح القدس.

دينونتنا. لقد اعتدنا أن نرى صورًا بشعة عن «الدينونة الأخيرة»، والتي تصور أهوال العقاب الأبدي والدينونة. كما تتردد في أسماعنا آية سفر العبرانيين: «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب ١٠: ٣١).

ومع ذلك فإنه بالنسبة لمن يعرفون يسوع المسيح، حتى الدينونة الأخيرة لا تمثّل لهم رعبًا، لأننا نتذكر أن ديّاننا، يسوع المسيح، هو أيضًا مخلصنا – فهو أفضل شخص يعرفنا، وأكثر شخص يحبنا. يعبّر كتاب عقائد هايدلبيرج عن هذا الأمر جيدًا، إذ يقول:

س ٥٢: ما التعزية التي تهبها لك عودة المسيح «لكي يدين الأحياء والأموات»؟

ج: إنه في جميع الضيقات والاضطهادات يمكنني أن أنتظر، ورأسي مرفوع عاليًا، الديّان من السماء، والذي قد أخضع بالفعل نفسه لدينونة الله من أجلي، وأزال عني كل اللعنة (العقائد ٤,٠٥٢).

وهذه هي كلمات التعزية لنا، لأن ديّاننا قد أدين بالفعل بدلاً عنا، إذ مات يسوع المسيح لأجلنا. كما أمسك كالڤن بيقين هذه الحقيقة عندما كتب:

من هنا تنشأ تعزية عجيبة: وهو أننا نرى الدينونة في يدي ذاك الذي قد قرر بالفعل مصيرنا بأن نشارك معه شرف الحكم (مت ١٩: ٢٨)... لا يوجد يقين أعظم من هذا – أننا سنأتي أمام كرسي قضاء فادينا، الذي أتينا إليه لأجل خلاصنا. (المبادىء ٢,١٦,١٨)

أي يقين أو تعزية أعظم من ذلك يمكن أن ننالها! أن نواجه الدينونة على يدي الشخص الذي مات لكي يخلصنا (رو ٥: ٨).

وضعنا النهائي. إننا سوف نقوم من الأموات، وسوف نأتي للدينونة، وسوف ندخل إلى ملء الحياة الأبدية. وهذا هو الضمان المجيد: «وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به الحياة الأبدية» (١يو ٢: ٢٥). إننا سوف نأخذ أجساد القيامة، أجسام روحانية جديدة تستطيع أن تتمتع بأمجاد الحياة الأبدية (١كو ١٥: ٣٥ –٤٩؛ في ٣: ٢١)، ياله من مصير نحلم به! يقول الكتاب الأشمل للعقائد عن الأبرار أنهم:

سوف يتم استقبالهم في السماء، حيث سيكونون أحرارًا بالكامل وإلى الأبد من الخطية والبؤس؛ وسوف يمتلئون بفرح لا ينطق به؛ وسيجعلون قديسين كاملين

وسعداء جسديًا وروحيًا في رفقة عدد لا يحصى من القديسين والملائكة، وبصورة أكثر تميزًا، سيتمتعون بالرؤية المباشرة لله الآب، ولربنا يسوع المسيح، وللروح القدس، طوال الأبدية. هذه هي الشركة الكاملة والتامة التي سيستمتع بها أعضاء الكنيسة غير المنظورة مع المسيح في المجد، عند القيامة ويوم الدينونة. (العقائد ٢٠٠,٧).

إن رؤية السعادة الفائقة الأبدية هي أعظم مما يمكن لقوة الكلمات أن تعبّر عنه. ونحن نؤمن بحقيقة إتيانها لأن الله أمين ولأنه وعد أنه من خلال قيامة يسوع المسيح، «الله يعطينا الغلبة» (١كو ١٥: ٥٧) في الحياة الأبدية، الآن وإلى الأبد. قال كالڤن، لقد قام المسيح ثانية لكي يأتي بنا كرفاق له في الحياة الآتية. (المبادئ ٣,٢٥,٣).

لقد قام المسيح ثانية لكي يأتي بنا كرفاق له في الحياة الآتية.

إن عظمة وبهاء «السماء الجديدة والأرض الجديدة» هي تعزيتنا وفرحنا الأسمى، حيث «سيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت» (رؤ ٢١: ٤). سوف نقضي الأبدية في تسبيح لا نهائي لله. فبالنسبة للقديسين «لا يكون ليل هناك ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس لأن الرب الإله ينير عليهم وهم سيملكون إلى أبد الآبدين» (رؤ ٢٢: ٥).

أسئلة للمناقشة

-١ ما الأمثلة على أن ملك الله يتأسس حولنا؟

-٢ ما هي بعض المفاهيم التي يتضمنها الإيمان بأن مجيء يسوع المسيح الثاني وشيك ولكنه ليس بالضرورة فوري؟

-٣ بأية طرق يساعدنا إيماننا المسيحي على مواجهة تجربة الموت؟

-٤ لماذا لا تمثّل «الدينونة الأخيرة» رعبًا بالنسبة للمسيحيين؟

-٥ كيف يبدو اختبار السماء في رأيك؟

لمجد الله!

لقد مشينا معًا طريقًا طويلاً منذ البداية. فقد درسنا معتقداتنا المشيخية، وبعض من الأمور المميزة التي نركز عليها. لقد ناقشنا الله الذي يعلن، ويخلق، ويرشد؛ والمسيح الذي يخلص بشرًا مثلنا؛ والكنيسة، حيث يبدأ الإيمان ويتغذى وينمو. خلال كل هذه الأمور، كان تركيزنا على الله المثلث الأقانيم، وعلى عمل الله في هذا العالم وبين البشر، الآب والابن والروح القدس. يشترك المشيخيون مع جميع المسيحيين الآخرين في عبادة وتسبيح الله لأجل ذاته، ولأجل ما فعله، وما يفعله الله في وسطنا. ونحن إذ نسعى لكي نكون تلاميذ أمناء ليسوع المسيح، تلاميذ يفهمون أنفسهم أنهم قد تشكلوا بحسب تقليدنا المشيخي، فإن لدينا مصدرًا لاهوتيًا غني لا ينضب لنستقي منه. فلدينا المصادر اللاهوتية التي نحتاجها في رحلة إيماننا وخدمتنا. وإذ نسعى جميعنا لكي نفهم إيماننا أكثر، لنقدم جميعًا الشكر لله لأجل تراثنا الرائع هذا. ولعلنا نسعى دائمًا للحصول على المزيد من الفهم، حتى يمكن للكنيسة، التي تم إصلاحها، أن تكون «دائمًا مصلحة» بحسب مشيئة الله وبحسب الكلمة المقدسة. ليت التراث المشيخي يعيش قويًا وحيويًا، يسعى ليس لمجدنا الشخصي، بل يسعى دائمًا لمجد الله!